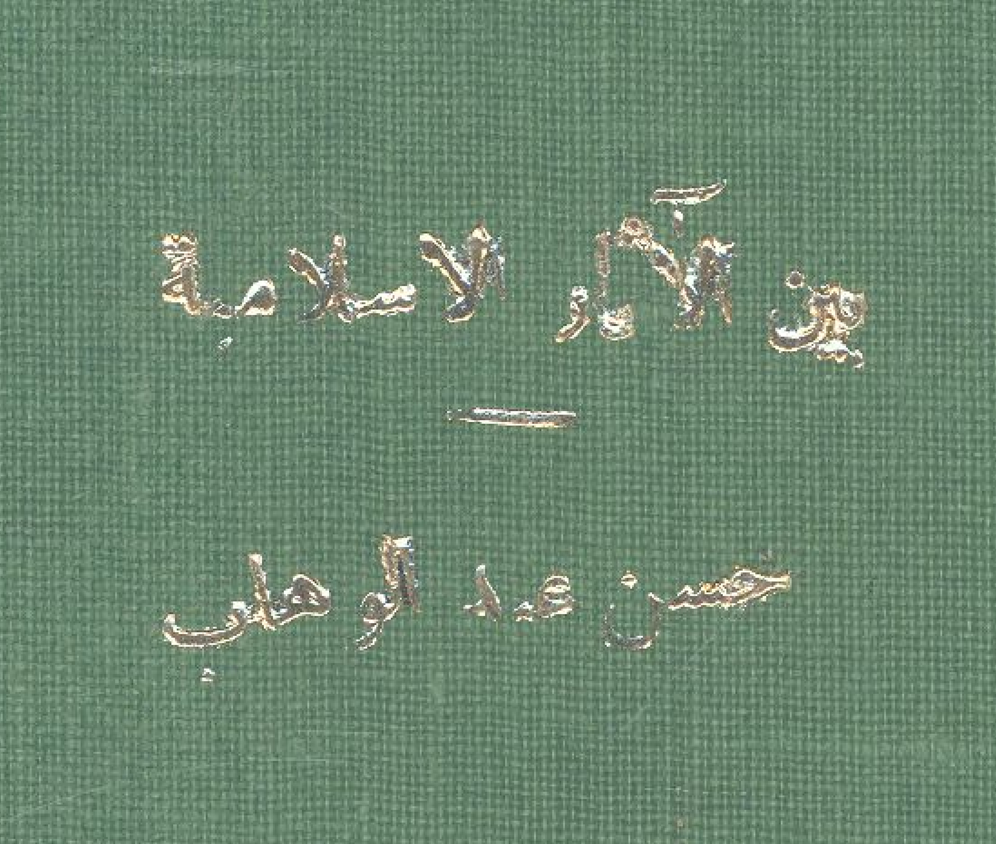


بين الآثار الإسلامية
حسن عبد الوهاب

بين الآثار الإسلامية

حسن عبد الوهاب
مفتش الآثار العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر الإسلامية

إن امتياز مصر بما حوته من مجاميع أثرية جعل لها المقام الأول بين بلاد العالم ، فقد تمثلت في تلك المجاميع مختلف الحضارات المتعاقبة عليها ، وهي أصدق مقياس لمقدار رقيها وحضارتها .

ومصر الإسلامية قد احتفظت بالكثير من أخطاطها ، وأسواقها ، وفنونها ، وآثارها ، فيجد الباحث في تاريخها ، وتاريخ العمارة الإسلامية ، مادة غزيرة للدرس ، حيث يرى العمارة الإسلامية والصناعات . ممثلة تمثيلاً كاملاً . لكافة عصورها منذ الفتح الإسلامي . حتى وفاة المغفور له محمد على باشا الكبير. فلا عجب أن تستهوى بجمالها هواة الفنون ومحبي الآثار .

وفي هذه الكلمة أتناول الآثار الفنية بهندستها وفنونها . متخيراً من كل عصر أحسنه . ليقف زائرها على تطور العمارة الإسلامية وتذوق جمالها .

جامع عمرو بن العاص

إذا راعينا التسلسل التاريخي للآثار الباقية — وجب علينا البدء بجامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط ، لأنه أول جامع أنشىء بالديار المصرية عقب فتحها — فقد أنشأه القائد العظيم عمرو ابن العاص فاتح مصر سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، وكان وقتئذ جامعاً صغيراً بسيطاً مساحته ٥٠ × ٣٠ ذراعاً ، ثم توالت عليه الزيادات إلى أن أمر والى مصر عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) بتوسيعه ، فأضيف إلى أرضه مساحة مثلها . فبلغت مساحته ١١٢٫٥٠ × ١٢٠٫٥٠ متراً ، وهي مساحته الحالية . أي بزيادة ١٦ مرة عن مساحته الأولى عند تأسيسه .

ولكن العناية بهذا الجامع من توسيع وتجديد أولا ، ثم المحن التى أصابته ثانياً، جعلت منه اليوم مسجداً عثمانياً بعقوده الداخلية التى بنيت خطـأ فى اتجاهها . فقطعت فى شبابيكه القديمة بالجـدار الشرقى . و بمنارتيه الباقيتين ، وكل ذلك من أثر عمارة الأمير مراد بك سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧م). غير أنه بقى من الجامع القديم أخشاب منقوشة تسبق العصر الفاطمى ، كما بقيت منه شبابيك جصية ومحراب جصى ، بوجهته الغربية ، ترجع إلى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣م) .

وقـد ثبت أن الجامع فى نهاية القرن السابع الهجرى ، (الثالث عشر الميلادى) كان يشتمل على سبعة أروقة فى الإيوان الشرقى . أعاد مراد بك بناء ستة منها . ومثلها فى الإيوان الغربى . جدد منها رواقاً واحداً ، كما كان فى كل من جانبيه القبلى والبحرى خمسة أروقة لم يبق منها شىء ، وكان له خمس منارات وثلاثة عشر باباً .

ولا تقتصر أهمية جامع عمرو على أنه أول جامع أنشىء بالديار المصرية ، فهو أيضاً أقدم جامعة إسلامية ، ظلت تؤدى رسالتها مدة تسعة قرون ، كما كان به بيت المال لإيداع أموال اليتامى، وكانت تعقد فيه جلسات المحاكم لفض المنازعات الدينية والمدنية .

مقياس النيل بجزيرة الروضة

هو ثانى أثر باق ، وفى الواقع هو أقدم أثر إسلامى فى مصر احتفظ بتفاصيله ، وهو فى أنف جزيرة الروضة ، أمر بإنشائه الخليفة العباسى المتوكل على الله ، بإشراف المهندس القدير أحمد بن محمد الحاسب سنة ٢٤٥ — ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ليعرف به زيادة ماء النيـل وقت الفيضان ، وكان بمقتضاه يجبى الخراج للتاج . وعلى مقدار زيادة هذا الماء يتوقف رخاء المصريين ورفاهيتهم .

الدولة الطولونية سنة ٢٥٤—٢٩٢ هـ (٨٦٨—٩٠٤ م)

استقلت هذه الدولة بحكم مصر بفضل مؤسسها احمـد بن طولون الذى أنشأ مدينة القطائع ،

وقصره ، والميدان . وأنشأ المسجد ودار الإمارة والبيمارستان وقناطر المياه . ولم يبق من منشآته سوى أجزاء من قناطر المياه التى أنشأها قبل سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) جهة البساتين ، ثم مسجده الكبير .

الجامع الطولونى — بميدان أحمد بن طولون

هو ثالث جامع أنشىء للجمعة والجماعة فى مصر . و يعدّ بحق من أقدم الجوامع المحتفظة بتفاصيلها العمارية ، شرع فى بنائه احمد بن طولون سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦) وفرغ منه سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) وهو على شكل مربع تقريباً ضلعه ١٦٢٫٢٥ × ١٦١٫٥٠ ، وفى هذا الجامع تتجلى عظمة العمارة الإسلامية ، وقد اشتمل على أغنى مجموعة من الزخارف الجصية التى اعتبرت أساساً لتطورها فى مصر ، كما توجد به مجموعة كبيرة من الشبابيك الجصية ، تنوعت أشكالها ، وامتاز على مساجد مصر بمنارته ذات السلم الخارجى ، وهى التى أعاد إنشاءها السلطان لاجين المنصورى سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) على مثال منارته القديمة . وهو الذى قام أيضاً بأهم عمارة بهذا الجامع بقى منها القبة بوسط الصحن ، والمنبر الذى يعدّ طرفة من طرف النجارة ، والقبة أعلى المحراب والفسيفساء المذهبة بتجويفه . ومن بدائع صناعة الجص فى هـذا المسجد المحراب المستنصرى الذى أنشأه الأفضل شاهنشاه حوالى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م) .

الدولة الفاطمية سنة (٣٥٨ — ٥٦٧ هـ) (٩٦٩ — ١١٧١م)

مؤسس هـذه الدولة فى مصر هو الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، وفى أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهيـة على أرجاء الأرض ، وأخذ الفن الإسلامى يتألق من جميع نواحيه . وكانت أيامهم كلها أعياداً بمـا ابتكروه من حفـلات جمعت بين جـلال الملك وطرب الشعب و بهجته .

وهذه الدولة — و إن كان الزمن قد اعتدى على أكثر منشآتها المدنية وأهمها القصران والمناظر فأبادها — إلا أنه أبقى على بعض منشآتها الحربية والدينية والكثير من طرفها الأثرية .

وأهم الآثار الباقية أسوار القاهرة وأبوابها، التى أعاد إنشاءها الوزير الكبير بدر الجمالى، وأهم قسم باق منها باب النصر و باب الفتوح المنشآن سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧م) والسور بأبراجه وشرفاته بينهما، وفى هذين البابين والسور المتصل بهما تمثلت عظمة التحصينات كما تمثلت روعة العمارة الإسلامية.

ومن هذه الأبواب باب زويلة الذى أنشأه بدر الجمالى أيضاً سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١م)، وقد دل التنوع الغريب فى الأبواب الثلاثة على براعة المهندس.

ويقوم إلى جانب باب الفتوح جامع الحاكم بأمر الله الذى أنشأه الخليفة الفاطمى العزيز بالله سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠م) وأتمه ابنه الحاكم وافتتحه للصلاة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م). وهذا المسجد وإن كان أصابه تخريب كبير، إلا أن الزمن أبقى على قسم كبير من إيوانه الشرقى بكتاباته الكوفية وعلى قاعدة القبة فوق المحراب بكتاباتها وشبابيكها، كما أبقى على منارتيه المعتبرتين من أقدم المنارات فى مصر، وقد حفلتا بشتى النقوش والكتابات، وقام بيبرس الجاشنكير ببناء قمتهما الظاهرتين ضمن عمارته للجامع سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م).

وقد أنشأت هذه الدولة عدة مشاهد لأهل البيت وغيرهم امتازت بتصميم خاص، منها: المشهد المعروف بالجيوشى فوق جبل المقطم. الذى أنشأه بدر الجمالى سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥م)، وقيل ابنه الأفضل شاهنشاه، وتصميم هذا المشهد غريب. وامتاز بمحرابه الحافل بنوع مخصوص من الكتابات الكوفية والزخارف الجصية المتنوعة وبدعائم جانبيه المنتهية بقباب صغيرة، ومشهد أخوة يوسف جهة الأبجيّة المنشأ فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى. وامتاز بتصميمه وزخارف محاريبه، ومشهد السيدة رقية بشارع الخليفة المنشأ سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م)، وامتاز بجمال تابوته ومحرابه الخشبيين، وقد أمرت بعملهما السيدة علم الآمرية سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨م). وقد أودع المحراب دار الآثار العربية، لأنه من المحاريب المتنقلة، وهو من بدائع صناعة النجارة.

ومع ما أصاب مساجدها من تخريب، فإن بقاياها توحى بما كانت عليه من روعة. وتنحصر فى جوامع الأزهر، والأقمر، والصالح طلائع.

الجامع الأزهر — ميدان الأزهر

هو أول جامع أنشىء بمدينة القاهرة ، أنشأه القائد جوهر الصقلى باسم سيده المعز لدين الله سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠م) . وانتهى العمل منه وأقيمت به أول جمعة فى ٧ رمضان سنة ٣٦١هـ (٩٧٢م) .

ولكن الجامع الذى نراه اليوم ليس كله بالجامع الفاطمى الذى وضع أساسه جوهر، بل هو مجموعة من المنشآت ضمت إليه فى أوقات مختلفة ، ولذلك سنقف أمام تفاصيله المختلفة لنتولاها بالشرح : فالباب الغربى الكبير من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) ، و باجتيازه نرى مدرستين : اليمنى منهما المدرسة الطيبرسية التى أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) ، وقد جدد وجهتها عبد الرحمن كتخدا ، و بقى بها محراب من أنفس المحاريب الرخامية بدقة رخامه وفسيفسائه المذهّبة . واليسرى مدرسة الأمير أقبغا عبد الواحد التى أنشأها سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) ، وحولت إلى مكتبة للأزهر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦م) ، و يسترعى النظر فيها جمال مدخلها ومحرابيها برخامهما الدقيق وفسيفسائهما المذهبة ، ويتوسط المدرستين باب حافل بالكتابات والنقوش حلّ محل المدخل القديم للأزهر ، جدد إنشاءه السلطان قايتباى ، وأنشأ المنارة على يمينه سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ، وهى من أرشق منارات مصر .

و باجتياز هذا الباب نصل إلى صحن الجامع ، وقد أحيطت به عقود هى من الإضافات التى زيدت عليه فى مبدأ القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) — وخلفها الأكتاف الأصلية للجامع . و يتوسط القسم الشرقى من هذه الإضافة قبة حلّى داخلها بشتى الزخارف والكتابات ، وهى تؤدى إلى مجاز يشق الإيوان الشرقى إلى المحراب القديم . وعقود هذا المجاز بزخارفها وكتاباتها ، والمحراب القديم بزخارفه وكتاباته ، و بقايا الزخارف الجصية بجدرانه الشرقية والقبلية والبحرية هى الباقية من عصر إنشاء الجامع . أما بقية عقوده وسقوفه فقد توالت عليها التجديدات . والقسم الشرقى خلف المحراب القديم من إضافة عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) ، وهو الذى

أنشأ أيضاً باب الشربة و باب الصعايدة بمنارتيهما ، وقد جدّد الخديو اسماعيل الباب الثانى منهما سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ، كما جدّد الخديو توفيق أروقة القسم المذكور سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) واحتفظ بمحرابه ومنبره .

وفى النهاية الشرقية للجدار البحرى المدرسة الجوهرية التى أنشأها الأمير جوهر القنقبائى خازندار الملك الأشرف برسباى قبل سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ، وهى مدرسة صغيرة ولكنها اشتملت على جميع تفاصيل المدرسة لاشتمالها على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مفروش بالرخام ، وطُعِّمت نجارتها بالسن ، كما حُلّيت قبتها الحجرية من الخارج بنقوش مورّقة ، وحينما نهم بالخروج من الإيوان الشرقى نرى ثلاث منارات : اليمنى منارة المدرسة الاقبغاوية . والثانية منارة السلطان قايتباى ، والثالثة منارة السلطان الغورى ، وهى المزدوجة الرأس ، وقد أنشأها سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) وامتازت بوجود سُلمين فيما بين دورتيها الأولى والثانية لايرى الصاعد فى أحدهما الآخر ؛ وهى إحدى النكت الفنية فى العمارة الإسلامية .

الجامع الأقمر — بشارع النحاسين

أنشأه الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥م) . ووجهته الحجرية من أجمل الوجهات كما أنها فريدة فى نوعها ، وقد حفلت بمختلف النقوش والمقرنصات والكتابات الكوفية المشتملة على اسم الآمر بأحكام الله ووزيره أبى عبد الله محمد بن فاتك ، أما المنارة القائمة على يسار بابه فهى من أثر عمارة الأمير يلبغا السالمى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٧ م) .

جامع الصالح طلائع — بميدان باب زويلة

هذا الميدان حافل بمجموعة أثرية عظيمة من الآثار الإسلامية ؛ إذ يشرف عليه باب زويلة — أحد أبواب القاهرة الفاطمية — وفوقه منارتا الجامع المؤيدى ، وأمامه زاوية السلطان فرج

ابن برقوق المنشأة سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) . وقبليها منازل وقصبة رضوان المنشأة سنة ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠ م) ، وهى أجمل سوق قديمة باقية فى مصر .

أنشأ هـذا الجامع الصالح طلائع بن رزّيك الوزير الفاطمى ، وفرغ من بنائه سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) . وقد اشتمل على مميزات عمارية قلّ أن تتوافر فى مسجد فاطمى آخر ، إذ حليت وجهاته الثلاث بعقود وكتابات كوفية ، كما ألحق به فى الجهة الشرقية مشهداً لرأس الأمام الحسين ولم يمكنه الخليفة الفاطمى وقتئذ من دفنـه فيه ، ودفنـه فى المشهد المعروف به ، ومن أهم العمارات التى أجريت بهذا المسجد تلك العمارة التى أجراها الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م) . وهو الذى عمل منبره الحالى سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) .

الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧ — ٦٤٨ هـ (١١٧١ — ١٢٥٠ م)

مؤسس هذه الدولة فى مصر ، هو صلاح الدين يوسف بن أيوب خصم الصليبيين وقاهرهم ، والذى أخذ على عاتقه هو وأفراد أسرته أن يقف حجر عثرة فى سبيل الصليبيين حتى كانت أيامه وأيام خلفائه كلها فتحاً وجهاداً .

ظلت مصر خاضعة للأيوبيين نحو ثمـانين عاماً ، ازدهرت فيها العمارة والفنون الإسلامية ، ولـكن مع الأسف عفت معظم منشآتهم ، و بقى عدد قليل منها غير كامل ، ولـكنه على قلته يعطينا فـكرة صريحة عن ازدهار العمارة والفنون فى هذه الدولة . وأهم ما بقى منها فى مصر بقايا قلعـة صلاح الدين وأسواره ، وقبة الإمام الشافعى ، وتابوت المشهد الحسينى ، والمدرسة الصالحية ، وتربة اسماعيل بن ثعلب ، وقبتا شجر الدر والخلفاء العباسيين .

قلعة الجبل — بميدان صلاح الدين

أمر صلاح الدين بإنشاء القلعة و بناء أسوار حول مصر والفسطاط تربطهما بأسوار القاهرة ، وعهد فى تنفيذ هذا المشروع إلى وزيره بهاء الدين قراقوش ، فبدأ فى إنشاء القلعة سـنة ٥٧٢ هـ

(١١٧٦ م) ، وظلّ العمل جارياً فيها وفى الأسوار حتى وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) ، ثم عنى الملك العادل وابنه الملك الكامل محمد بإتمام عمارة القلعة واتخاذها مقراً للملك .

وقد حفرت داخل القلعة بئر للتزود من مائها إذا ما قدر للقلعة أن تحاصر ، وهى المعروفة بالحلزون ويبلغ عمقها حوالى ٩٠ متراً . وكانت المياه تصل إلى القلعة عن طريق قناطر المياه .

ظلت القلعة مقراً للملك منذ إنشائها حتى عصر الخديو اسماعيل ، فهو أول من اتخذ قصر عابدين العامر مقراً للملك .

وإلى يومنا هذا تتمثل فى القلعة الأدوار التى مرّت بها فى مختلف العصور ممثلة فى أبوابها ، وأسوارها ، وأبراجها ، ومساجدها ، وبقايا قصورها ، ونصوصها التاريخية وأقدمها نص تاريخى على باب المدرّج باسم صلاح الدين مؤرخ سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) . وأحدث هذه النصوص فى عمارة أجراها بها الخديو اسماعيل سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) .

وفى عصر المغفور له محمد على أصبح اسمه علماً على قلعة الجبل بما أجراه فيها من إصلاحات وما استحدثه فيها من منشآت ، وبما أضافه إليها من أبواب وأبراج وأسوار وقصور ، وبخاصة مسجده الكبير .

ولسوف يظل اسم القلعة بعد ذلك مقترناً باسم الفاروق مدى الأجيال ، ففى عهده السعيد الزاهر تمّ تسليمها إلى الحكومة المصرية ، وبذلك أعيد إلى مصر أول مظهر قومى بإعادة قلعة الجبل إلى حظيرتها يخفق فوقها العلم المصرى .

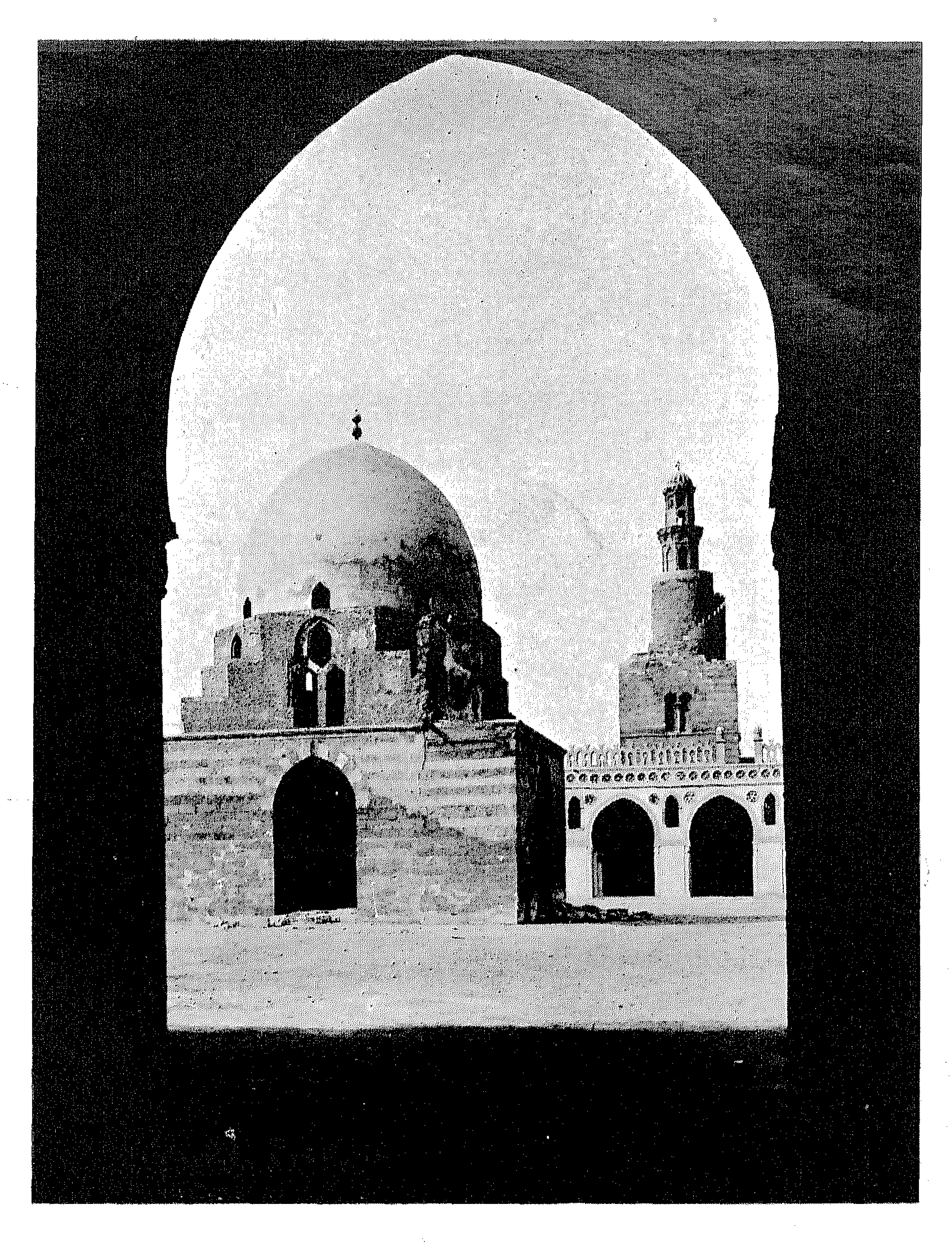
تابوت المشهد الحسينى

فى سنة ١٩٣٩ استخرجت من حجرة أسفل مقصورة المشهد الحسينى تابوتا خشبياً من روائع صناعة النجارة ، أرجح أن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى عند بنائه المدرسة التى كانت ملاصقة للمشهد والتى حل محلها المسجد الحالى ، أمر بصُنعه لمطابقة صناعته للتابوت الذى أمر بصُنعه على قبر

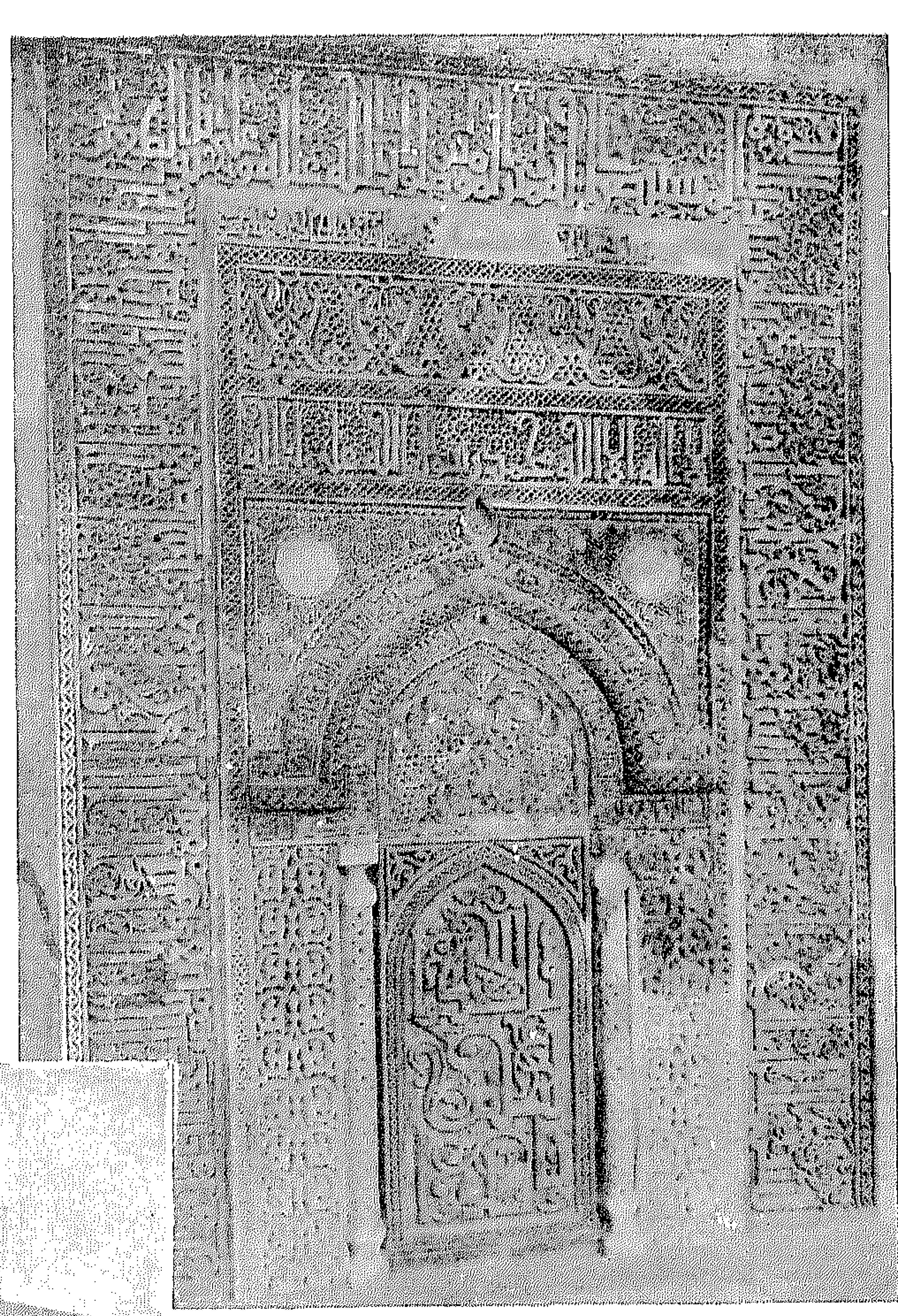


جامع عمرو بن العاص

مقياس النيل بجزيرة الروضة



الجامع الطولونى



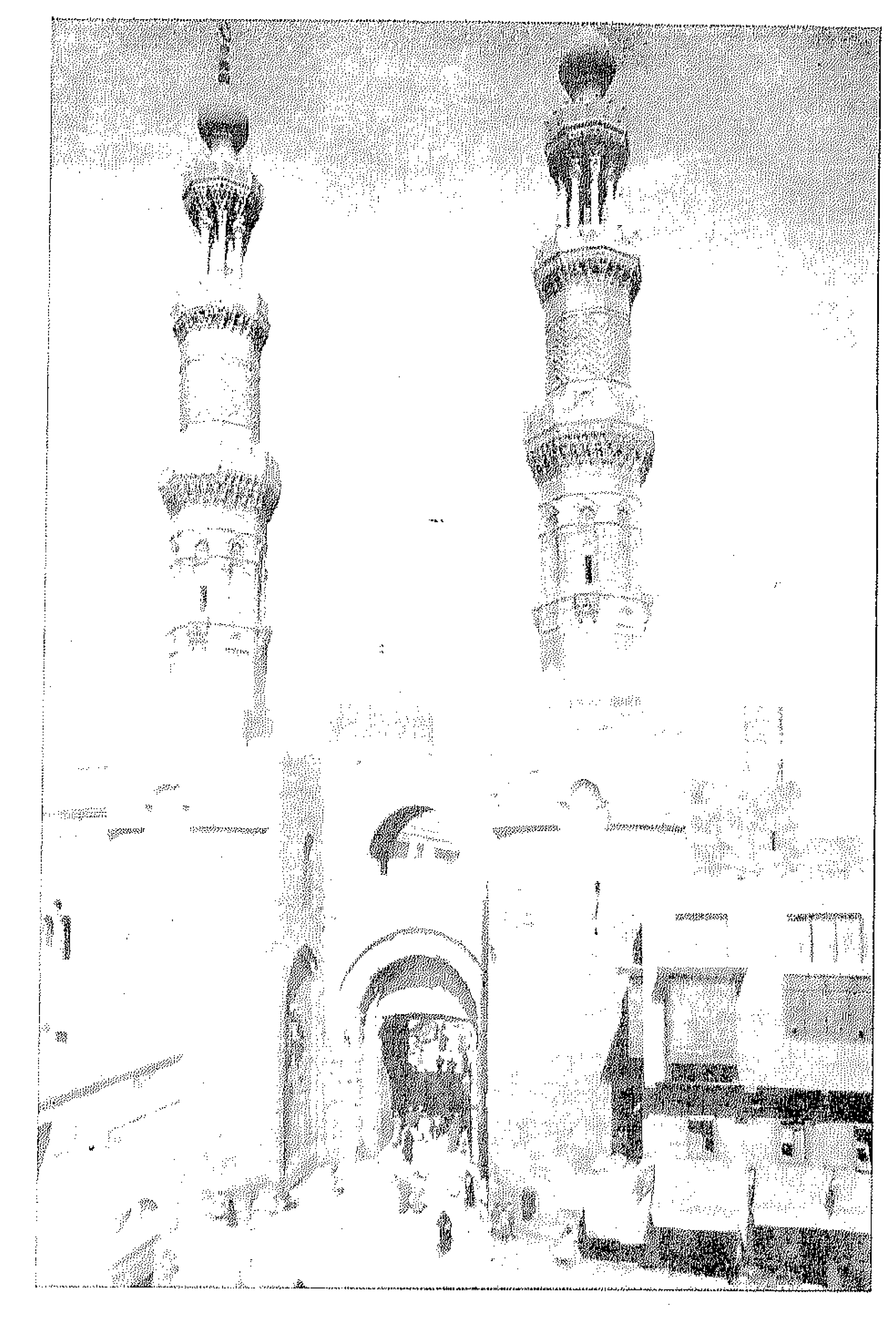
المحراب المستنصرى
بالجامع الطولونى

باب النصر

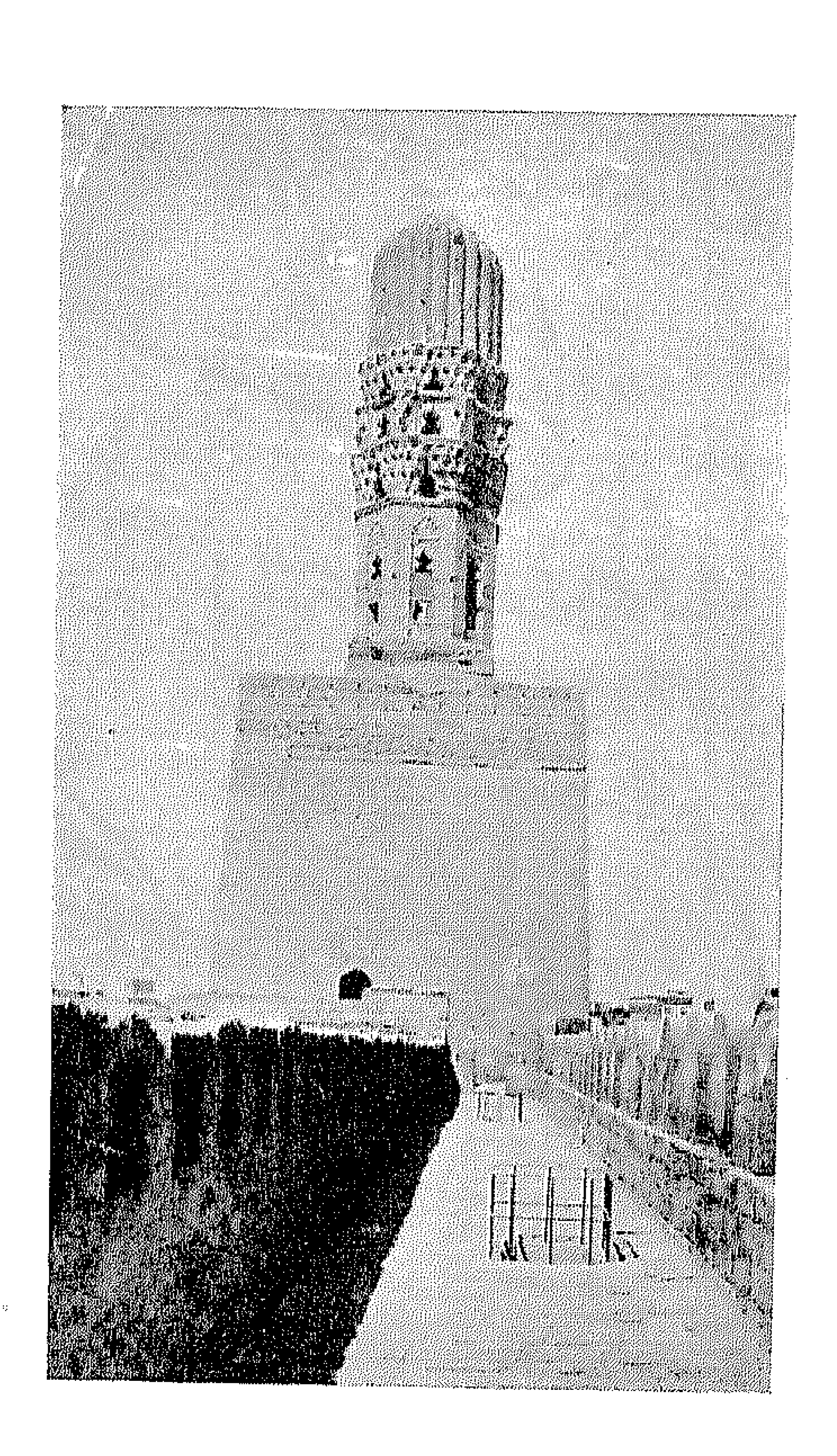


باب الفتوح

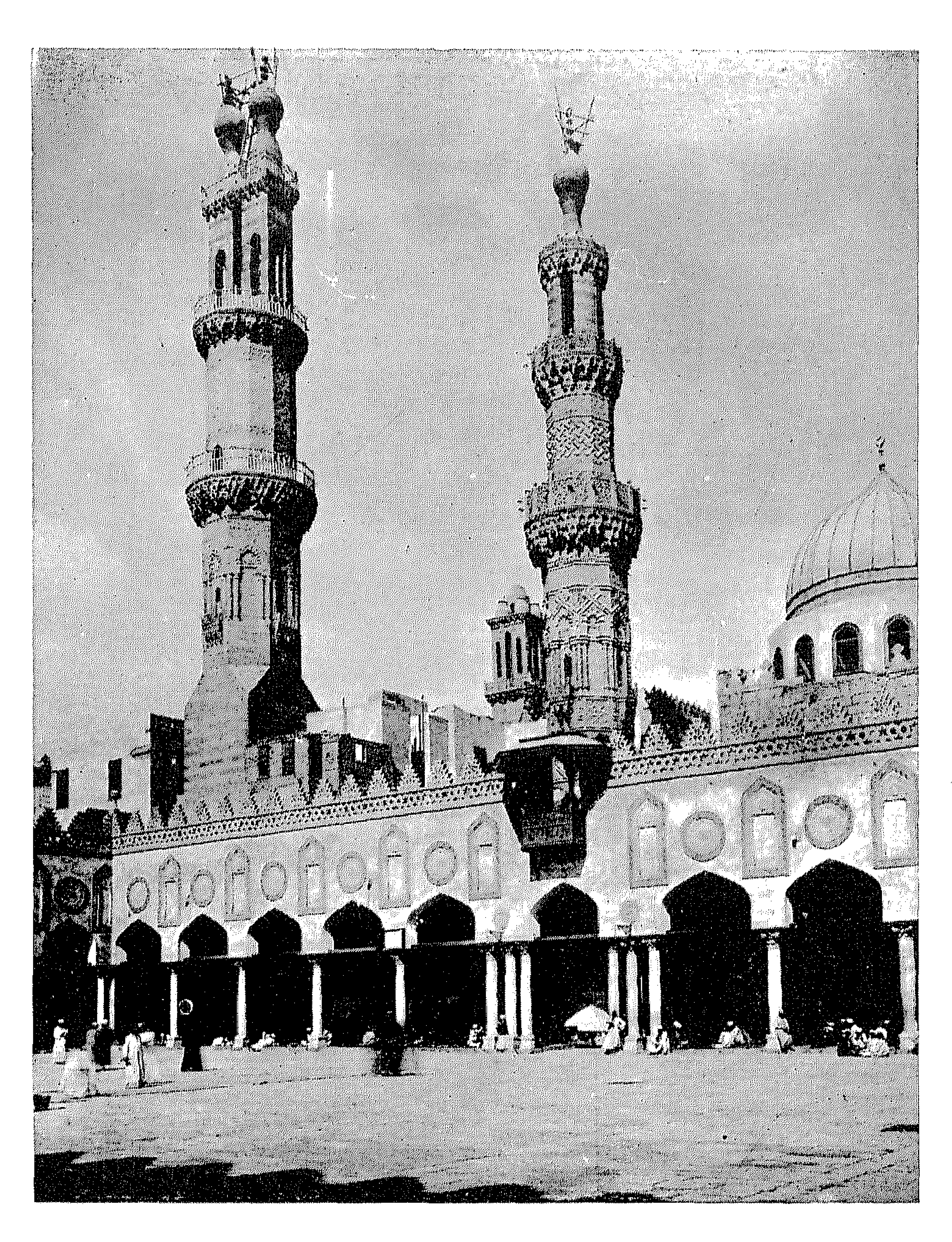
جامع الجيوشى



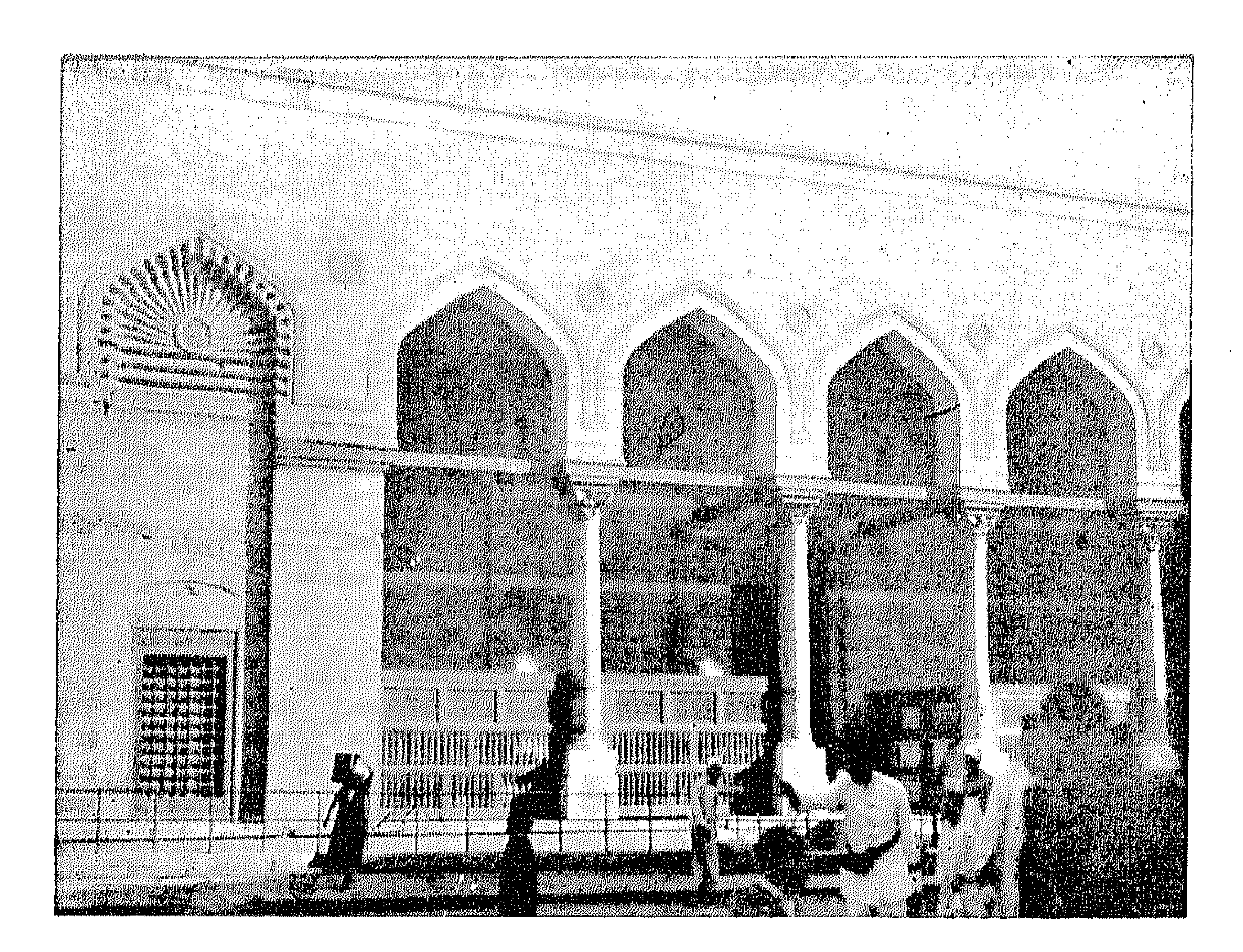
باب زويلة ومنارتا الجامع المؤيدى



منارة جامع الحاكم
وتبدو فيها قمتها من عمل بيبرس الجاشنكير

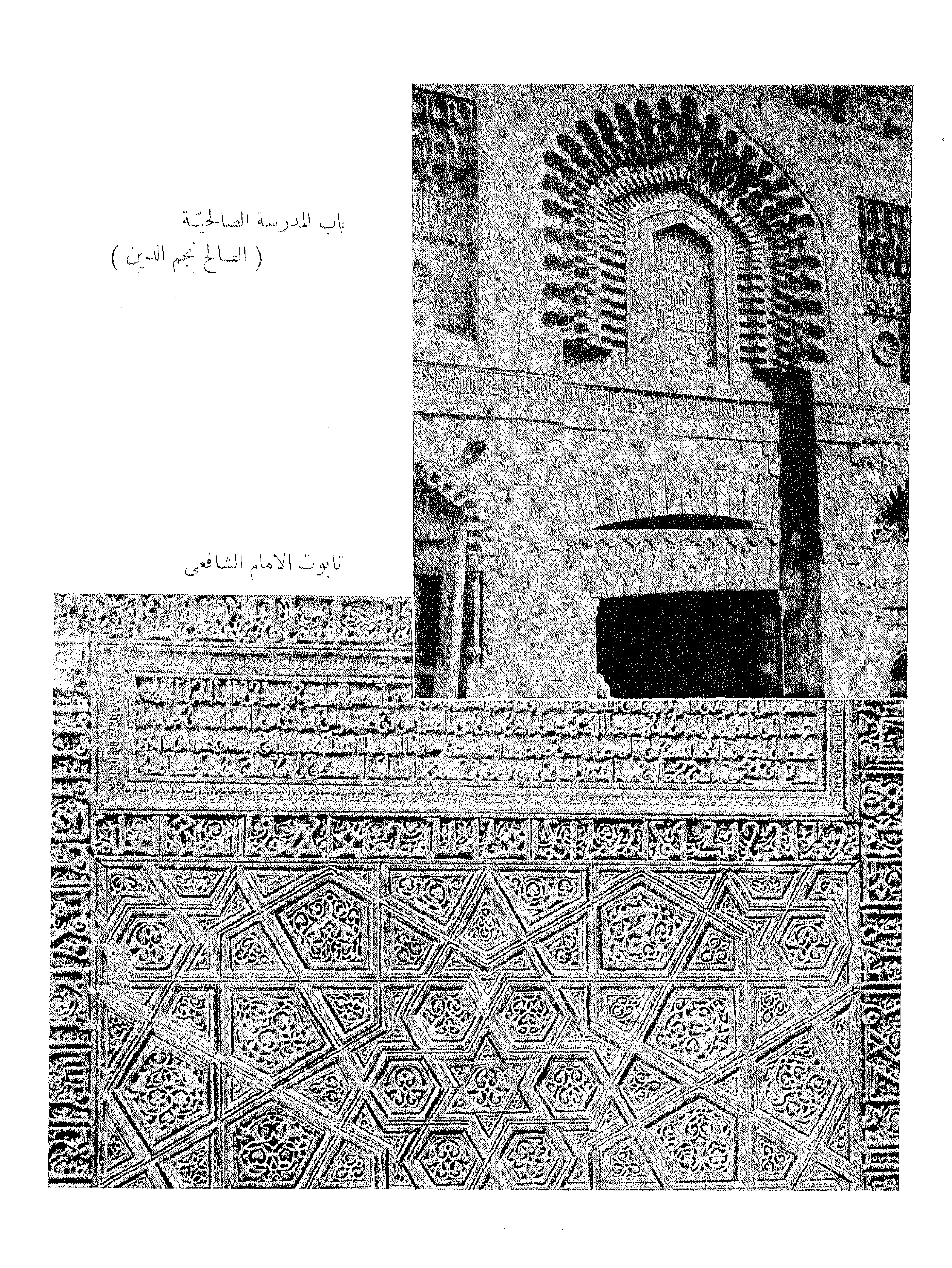


الوجهة الغربية لصحن الجامع الأزهر



الوجهة الغربية لجامع
الصالح طلائع بن رزّيك

تفاصيل من تابوت المشهد الحسينى



باب المدرسة الصالحيّة
(الصالح نجم الدين)

تابوت الامام الشافعى

الشافعى سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) . وهـــذا التابوت أودع دار الآثار العربية بعد إصلاحه .

قبة الإمام الشافعى — بشارع الإمام الشافعى

لما توفى الإمام محمد بن إدريس الشافعى سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م) دفن بتربة أولاد ابن عبد الحكم، وظلت مقبرته فى ساحة حتى عنى بها الملك الناصر صلاح الدين كما عنى بنشر مذهبه ، فنى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦م) بنى بجوارها مدرسة عرفت بالصلاحية حلّ محلها المسجد الحالى الذى أعاد إنشاءه الخديو توفيق سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) . وبقى من عمارة صلاح الدين لتربة الشافعى التابوت الخشبى فوق قبره ، وهو تابوت كبير دقت حشواته بالأئمة الدقيقة وعليه اسم صانعه (عبيد النجار المعروف بابن معالى) وهو من طرائف فنّ النجارة .

وفى سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) أنشأ هذه القبة السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل لما دفنت والدته هناك ، وقيل إنها هى المنشئة لها ، وهى من أجمل القباب بمصر ، افتنّ المهندس فى زخرفتها ونقوشها من الداخل والخارج ، وأقيم على قبر أم الملك الكامل تابوت لا يقل أهمية عن تابوت الشافعى . أما النقوش الملونة والمذهبة بالقبة من أعلاها فهى من أثر عمارة أجراها بها على بك الكبير سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢ م) .

المدرسة الصالحية[1] — بشارع النحاسين

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب على رقعة من أرض القصر الفاطمى الكبير محل الباب المعروف ، بباب الزهّومة . وفرغ من بنائها سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) وأعدها لتدريس المذاهب الأربعة . ثم تخربت هذه المدرسة ، ولم يبق منها سوى مدخلها المشتمل على نقوش دقيقة وكتابات تاريخية ، وتعلوه المنارة ، كما بقيت الوجهة الغربية بشبابيكها المختلفة النقوش .

---

(١) ظهرت المدرسة فى نهاية العصر الفاطمى لدراسة مذهب من المذاهب الأربعة أو كلها ، وأعدت أيضاً لإقامة الشعائر الدينية ، وتختلف عن المسجد بأن تصميمها متعامد (Cruciforme) .

وفى الطرف البحرى قبة الصالح نجم الدين التى أنشأتها له زوجته شجر الدر سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، وامتازت هذه القبة بجمال نجارتها مع بساطتها ، وبكسوة محرابها برخام دقيق وفسيفساء مذهبة .

قبة الخلفاء العباسيين — خلف المشهد النفيسى

أنشئت هذه القبة حوالى سنة ٦٤١هـ (١٢٤٣م) . ودفن بها الخلفاء العباسيون الذين وافتهم منيتهم بديار مصر فى القرنين السابع والثامن الهجرى وغيرهم ، وهى على أعظم جانب من الأهمية لما حوته من زخارف جصّية بلغت منتهى الدقة ، ومكتوب بحزام رقبتها آية الكرسى بالخط الكوفى الأندلسى .

قبة شجر الدر — بشارع الخليفة

أمرت بإنشائها ملكة مصر شجر الدر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م) وطَرّزها كطَرْز قبة الخلفاء العباسيين ، وبها من الداخل أيضاً زخارف جصية دقيقة ، وامتازت بفسيفساء مذهبة فى محرابها ، وبإزار مكتوب بالخط الكوفى . ولما توفيت سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) دفنت بها . ومكتوب بطراز مربعها ألقابها الملكية مما يؤيد أنها أنشأتها وهى متولية ملك مصر .

دولة المماليك البحرية سنة ٦٤٨ — ٧٨٤ هـ (١٢٥٠—١٣٨٢ م)

عصر هذه الدولة من العصور الذهبية ، فقد تنافس فيه ملوك مصر وأمراؤها فى تشييد المنشآت العمارية الخيرية والمدنية ، وفيه أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ديواناً للأشغال . وقد عمرت هذه الدولة زهاء ١٣٦ سنة ، قام بالحكم فيها أكثر هذه المدة أسرة واحدة توارثت الحكم وعلى رأسها المنصور قلاوون . ولهذه الأسرة وأمرائها مجموعة قيمة من الآثار أذكر منها :

قبة ومدرسة وبيمارستان المنصور قلاوون — بشارع النحاسين

أنشأ هذه المجموعة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي على رقعة من أرض القصر الفاطمي الصغير الغربي . وكان البدء بإنشائها في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) والفراغ منها في جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) كما ورد في نصوصها التاريخية ، ولكني أتشكك في هذا التاريخ وأرجح أنها تمت بناء وزخرفاً في نهاية سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) .

وقبة هذه المدرسة انفردت دون قباب مصر بطرزها وزخارفها ؛ لأنها اشتملت على وزرات رخامية مطعمة بالصدف دقيقة جداً ، وعلى محراب من أكبر وأفخم المحاريب ، وعلى سقوف مذهبة وزخارف جصية دقيقة ، ولما توفى المنصور قلاوون سنة ٦٨٩هـ دفن بها . كما دفن بها ابنه الناصر محمد ابن قلاوون وعماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وأمام باب القبة باب المدرسة وخلفها من الجهة الغربية بقايا البيمارستان[1] الذي أعده لمعالجة جميع الأمراض ولدراسة الطب .

مدرسة الناصر محمد بن قلاوون — بشارع النحاسين

بدأ في إنشائها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري وأدخل في عمارتها باباً رخامياً كان قد أحضره الملك الأشرف خليل من إحدى كنائس عكا عند فتحه لها سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩٠م) ، وارتفع ببنائها إلى الطراز المكتوب بوجهتها وذلك في سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) ثم خُلِعَ من الملك قبل أن يتمها ، ولما عاد الملك الناصر محمد إلى ملك مصر للمرة الثانية اشترى المدرسة وبنى بها قبة فكملت في سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) ونقل إليها رفات والدته ، كما دفن بها ابنه الأمير أنوك ، وأقام فوق مدخلها منارة مربعة مشحونة بالزخارف الجصية المتأثرة بالزخارف الأندلسية .

---

(١) بيمارستان كلمة فارسية مركبة من بيمار أي مريض وستان أي محل . ويقال له بالتركية « خستة خانه » .

مسجد الناصر محمد — بالقلعة

وللناصر مسجد آخر فى قلعة الجبل، أنشأه سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥ م) امتاز بجمال منارتيه وكسوة قمتهما بالقاشانى الجميل، كما كان ممتازاً بوزرته الرخامية المطعمة بالصدف، وسقوفه الملونة المذهبة، وقد وُضع مشروع كبير لإصلاحه إصلاحاً شاملاً تنفيذاً للرغبة الملكية السامية.

الخانقاه الجاولية[1] — بشارع مراسينة

أمر بإنشائها الأمير سلّار نائب السلطنة فى دولة الناصر محمد بن قلاوون، وعهد ببنائها إلى صديقه الأمير سنجر الجاولى فتمّت فى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣ م) ولما توفى الأمير سلّار سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م) والأمير سنجر الجاولى سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٦ م) دفنا بها، كل منهما فى قبة أفردت له. وامتازت هذه الخانقاه بجمال وجهتها المشتملة على قبتين ومنارة، وبشبابيكها الحجرية المفرغة التى لا نظير لها فى أثر آخر.

مسجد الطنبغا الماردانى — بشارع التبانة

أنشأ هذا المسجد الأمير الطنبغا المارداني الساقى أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون وزوج ابنته، وكان الشروع فى إنشائه سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧ م) واحتفل بافتتاحه فى يوم الجمعة ٢٤ رمضان سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠م). وهو مسجد غنىّ بمختلف الصناعات فى الرخام والأخشاب، وله محراب دقيق من الرخام الملون والمطعم بالصدف يجاوره منبر خشبي دقيق الصنعة، هذا عدا الزخارف الجصية الملونة.

وقد وضع تصميم هذا المسجد ونفذه المهندس القدير ابن السيوفى كبير المهندسين فى دولة الناصر محمد بن قلاوون.

---

(١) خانقاه : كلمة فارسية معناها دار الصوفية.

القصور

مما يؤسف له أنه لم يبق من قصور هذا العصر قصر كامل، ولكن توجد تفاصيل من هذه القصور مثل بقايا قصر الأمير قوصون خلف مدرسة السلطان حسن . وقد أنشأه سنة ٧٣٨ ﻫ (١٣٣٨ م) الأمير قوصون الساقى صهر الناصر محمد بن قلاوون وسكن فيه مدة حياته ، ثم اتخذ بعده مقراً لسكنى كبار الأمراء إلى أن آل إلى الأمير يشبك من مهدى سنة ٨٨٠ ﻫ (١٤٧٦ م) فنقش اسمه وألقابه على جانبي مدخله ، وهو أهم ما بقى من هذا القصر، ويعتبر من أفخم المداخل وأعظمها ، ويزيد فى قيمته نقش اسم صانعه عليه (محمد بن أحمد زغلش الشامى) .

ومن منشآت الأمير قوصون وكالة فى شارع باب النصر ، كانت معدة لنزول تجار الشام ببضائعهم من زيت وصابون وفستق وجوز ولوز ، وكانت بمثابة فندق يشتمل على ٣٦٠ بيتاً يسكنها نحو أربعة آلاف نفس ، وقد تخربت الوكالة و بقى مدخلها المكسو بالرخام وعليه رنك منشئها .

ومن هذه القصور قصر الأمير بشتاك بشارع النحاسين . أنشأه سنة ٧٣٥ﻫ (١٣٣٥م) ولم يبق منه سوى جزء من وجهته مع مدخله وقاعته الكبيرة . وتصميم هذه القاعة وسقوفها المذهبة ، و بقايا و زرتها الرخامية الدقيقة ، ونجارتها تشعر بما كان عليه هذا القصر من روعة و بهاء .

وللأمير بشتاك حمام بشارع سوق السلاح أنشأها حوالى سنة ٧٤٠ ﻫ (١٣٤٠ م) . وقد تجدد داخلها واحتفظت بمدخلها المكسو بالرخام الملوّن وهو وحيد فى نوعه .

ومن هذه القصور قصر الأمير طاز الذى أنشأه سنة ٧٥٣ ﻫ (١٣٥٢م) بشارع السيوفية ، و به الآن مدرسة الحلمية الثانوية ، وقد احتفظ بمدخليه و بقاعته الكبيرة بسقوفها المتنوعة .

جامع آق سنقر (إبراهيم أغا) — بشارع باب الوزير

أمر بإنشائه الأمير آق سنقر الناصرى من كبار أمراء الناصر محمد بن قلاوون وزوج ابنته ، وكان البدء فى إنشائه سنة ٧٤٧ ﻫ ، وافتتحه للصلاة فى سنة ٧٤٨ ﻫ (١٣٤٧ م) . وعرف بالجامع

الأزرق نسبة إلى مجموعة القاشانى التى كسى بها الإيوان الشرقى الأمير إبراهيم أغا مستحفظان حينما أصلح الجامع سنة ١٠٦٢ هـ (١٦٥٢ م)، وأقام لنفسه مدفناً كسى جدرانه بالقاشانى أيضاً، وهى أكبر مجموعة من القاشانى عملت خصيصاً لهذا الجامع. وللجامع محراب من الرخام الدقيق يجاوره منبر رخامى من أنفس المنابر الرخامية بمصر، كما أن منارته من المنارات الرشيقة. وملحق به قبة دفن بها السلطان علاء الدين كجُك المتوفى سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م).

مدرسة السلطان حسن بميدان صلاح الدين

أنشأها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون. وكان البدء فى إنشائها سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) وهى إحدى عجائب العمارة الإسلامية، بل ومن مفاخرها، والزائر لها تبهره بضخامة بنائها وجمال تناسقها ودقة نقوشها، سواء أكانت فى الحجر أم الخشب أم الرخام أم الجص، كما أن مدخلها من أفخم المداخل وأعلاها، وقد حلى بالمقرنصات المتعددة الحطات، كما حلى جانباه بالزخارف المتنوعة والممتدة إلى أعلى، وكثير منها لم يتم للآن. وكان مركباً عليه مصراعان من الخشب المغشى بالنحاس المفرغ بأشكال زخرفية نقلهما الملك المؤيد شيخ إلى مسجده سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م).

وامتازت هذه المدرسة بضخامة عقد إيوانها الشرقى الذى لا نظير له فى العمارة الإسلامية لا فى مصر ولا فى قطر آخر، ويسترعى النظر فيه الإزار الجصى المزخرف والمكتوب فيه بالخط الكوفى آيات من سورة الفتح، وكذلك المنبر الرخامى والدكة الرخامية، وباب القبة المكفت بالذهب، ويحدق بالصحن أربع مدارس للمذاهب الأربعة؛ أكبرها المدرسة الحنفية المكتوب بطراز صحنها اسم المهندس (محمد بن بيليك المحسنى).

وتقوم القبة خلف المحراب، ويعتبر وضعها شاذاً، ولم يدفن بها السلطان حسن بل دفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م)، وقد جُدد غطاء هذه القبة ومنارة المسجد البحرية سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧٢ م). ويتدلى من عقود الإيوانات سلاسل كانت معدة لتعليق مشكاوات

زجاجية منقوشة ومكتوبة بالمينا أودع ما تبقى منها — وعدده ٣٤ مشكاة — دار الآثار العربية، وهى من أجمل المصابيح الزجاجية.

مدرسة أم السلطان شعبان — بشارع التبانة

اقترن اسم هذه المدرسة باسم شخصيتين عظيمتين : الأولى السيدة الجليلة خوند بركة أم السلطان شعبان، وكانت من السيدات الخيرات، اشتهرت بميلها إلى أعمال البر، والشخصية الثانية الملك الأشرف أبو المفاخر شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الذى ولى ملك مصر سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣م) . وكان الفراغ من بناء المدرسة سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨م) وقد حفلت بشتى الصناعات فقد كانت سقوفها ملونة مذهبة ، والأرضيات مفروشة بالرخام ، كما أن التذهيب كان يشمل الكثير من زخارفها الحجرية والرخامية ، والباب العام من أكثر الأبواب زخرفاً وأندرها تصميما. فقد انفرد بطرزه وعقوده ومقرنصاته المذهبة ، وبالكتابة الكوفية المحيطة به .

المماليك الجراكسة سنة ٧٨٤ — ٩٢٣ هـ (١٣٨٣ — ١٥١٧ م)

إذا أطلقنا على العمارة فى دولة المماليك البحرية العصر الذهبى ، فجدير بهذا العصر أن يطلق عليه العصر الماسى . فقد أخذت فيه العمارة زخرفها وازّينت ، وظهرت فيه عمائر لملوك مصر وأمرائها بلغت القمة فى دقة الزخرف وجمال التناسب أذكر منها :

مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق — بشارع النحاسين

أمر بإنشائها الملك الظاهر برقوق بن أنس سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) ، ونفذ عمارتها المهندس القدير شهاب الدين احمد بن الطولونى ، وهى مدرسة غنية بشتى فنون العمارة ، فقد كسى الباب بالرخام وكفتت مصاريعه النحاسية بالفضة . وامتازت وجهتها الرئيسية بوجود شبابيك خشبية

مجمعة بأشكال هندسية حلت محل الشبابيك الجصية . كما امتازت منارتها الضخمة بتلبيس الرخام فيها ، أما سقف الإيوان الشرقى فهو من روائع الصناعة بنقوشه الملونة والمذهبة .

خانقاه فرج بن برقوق — بصحراء قايتباى

هذه الخانقاه هى أكبر بناية أثرية فى قرافات مصر ، والآمر بإنشائها هو الملك الظاهر برقوق لأنه أوصى عند وفاته أن يدفن مع مجموعة من العلماء فى هذا الموقع ، فنفذ ابنه الملك الناصر فرج وصيته وأنشأها لتؤدى عدة أغراض : أولها مدفن للظاهر برقوق وأسرته ، ثانياً مسجد لإقامة الشعائر الدينية ، ثالثاً خانقاه لإقامة الصوفية .

وكان البدء فى إنشائها سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨م) والفراغ منها فى نهاية سنة ٨١٣ هـ (١٤١٠م) ،وقد برهن مهندسها على عبقريته ومقدرته الفنية ، فإنه جال ببصره بين آثار القاهرة وأخذ من كل بستان زهرة ، فاقتبس فكرة تصميم وجهته الشرقية من الوجهة الشرقية لجامع الحاكم بأمر الله ، فكلاهما ينتهى طرفاه بقبتين تتوسطهما ثالثة فوق المحراب ، كما أقام على جداره الغربى منارتين مثيلتين لما فى جامع الحاكم أيضاً، ثم اتجه صوب مدرسة أم السلطان شعبان فاقتبس منها نجارة الأحجبة الخشبية على وجه القبتين ، وبمناسبة القبتين أوجه النظر إلى نقوش سطحهما التى تعتبر ثانى خطوة فى زخرفة القباب من الخارج ، وتوفرت فيهما مميزات أهمها رقة سمك أحجارها والنقوش الموجودة بداخلهما ، أما المنبر فهو أجمل منبر حجرى أقيم فى المساجد ولا نظير له فى دقة نقوشه ، وأمر بعمله السلطان قايتباى سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) .

ولعل الكثيرين لا يعرفون أن الصورة المرسومة على الجنيه المصرى هى للوجهة الغربية لداخل هذه الخانقاه .

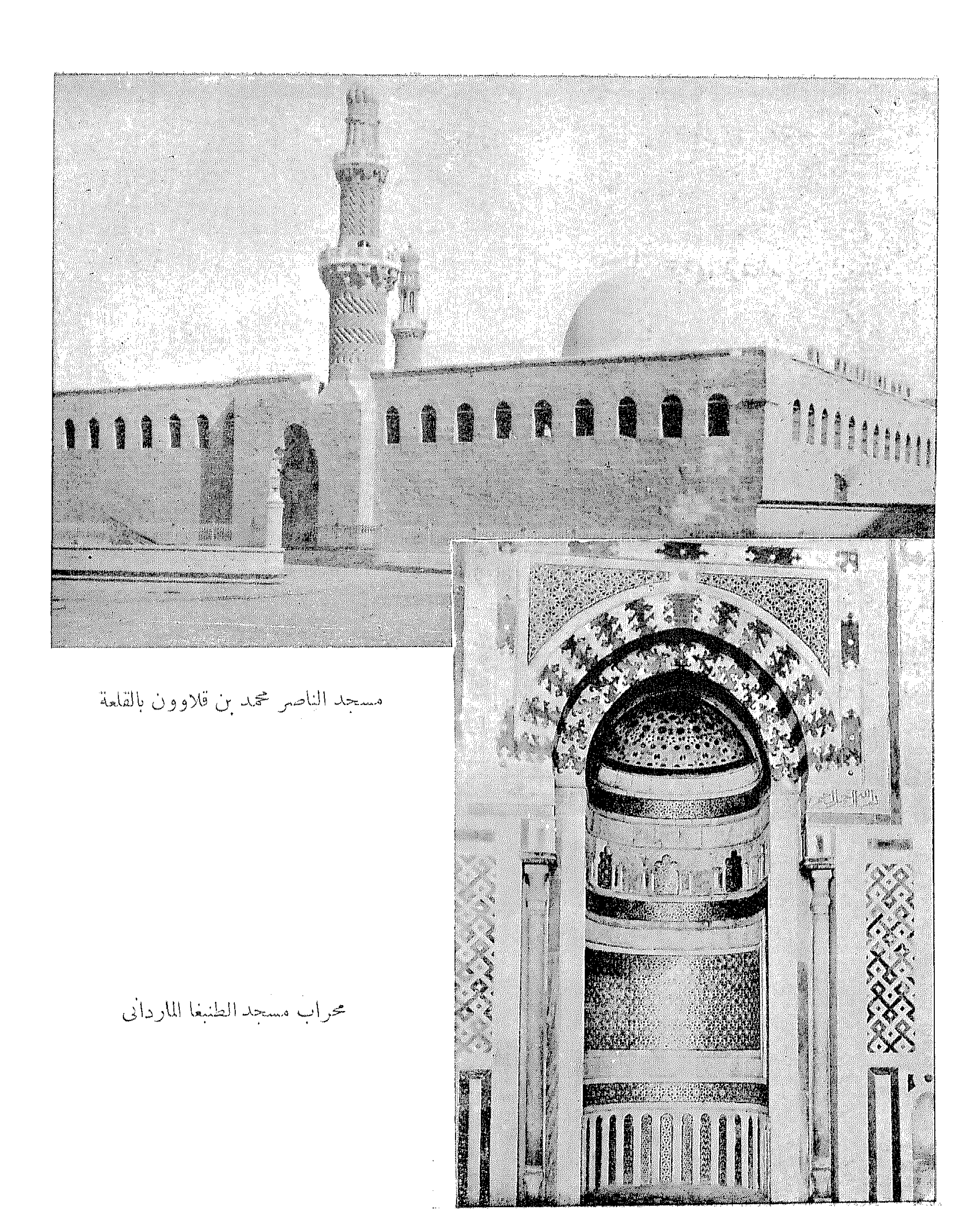
مسجد المؤيد شيخ — بشارع السكرية

بدأ فى إنشائه الملك المؤيد شيخ المحمودى سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) . وهو فخر المساجد فى دولة



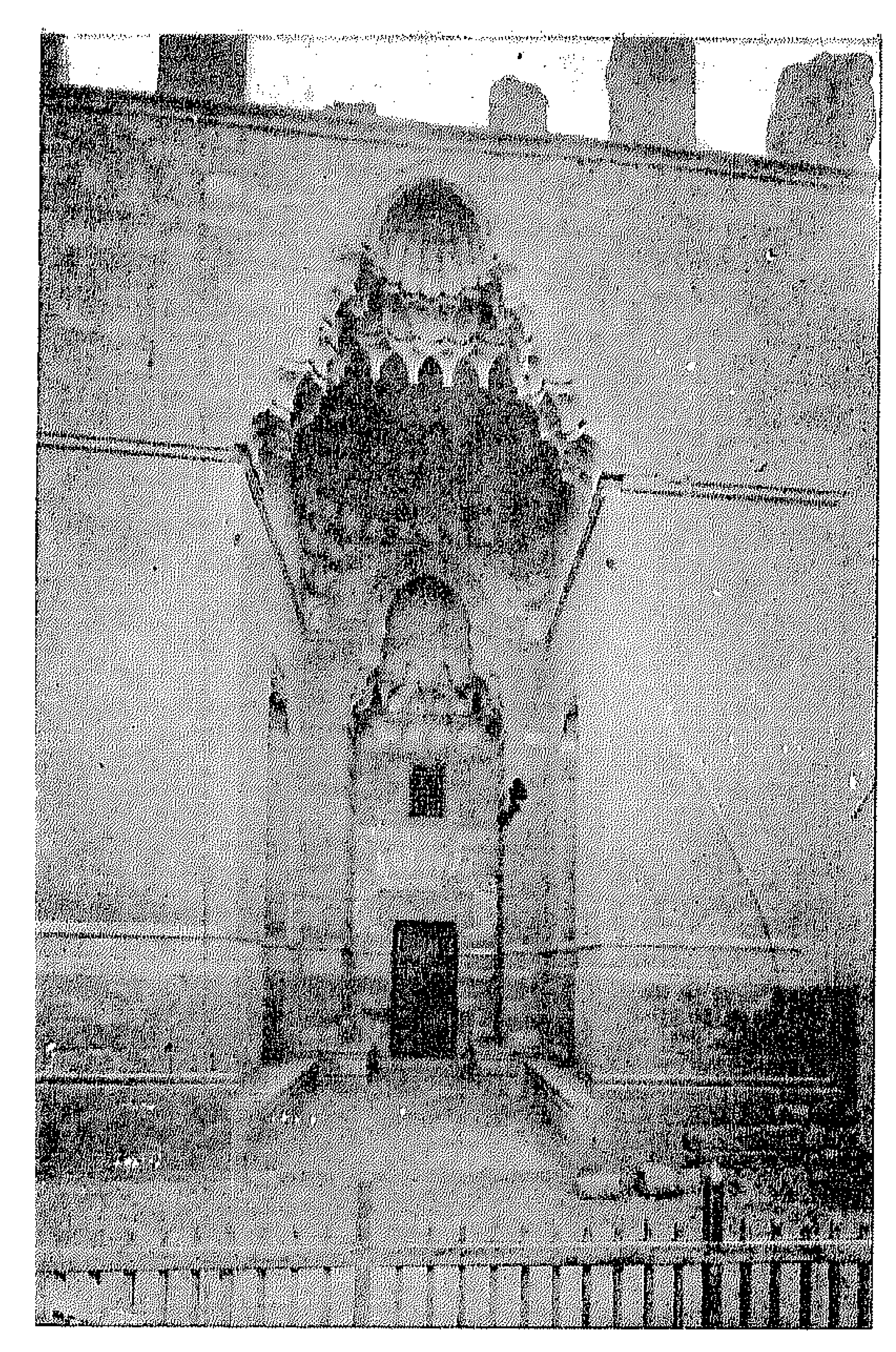
قبة ومنارة المنصور قلاوون

وجهة الخانقاه الجاولية

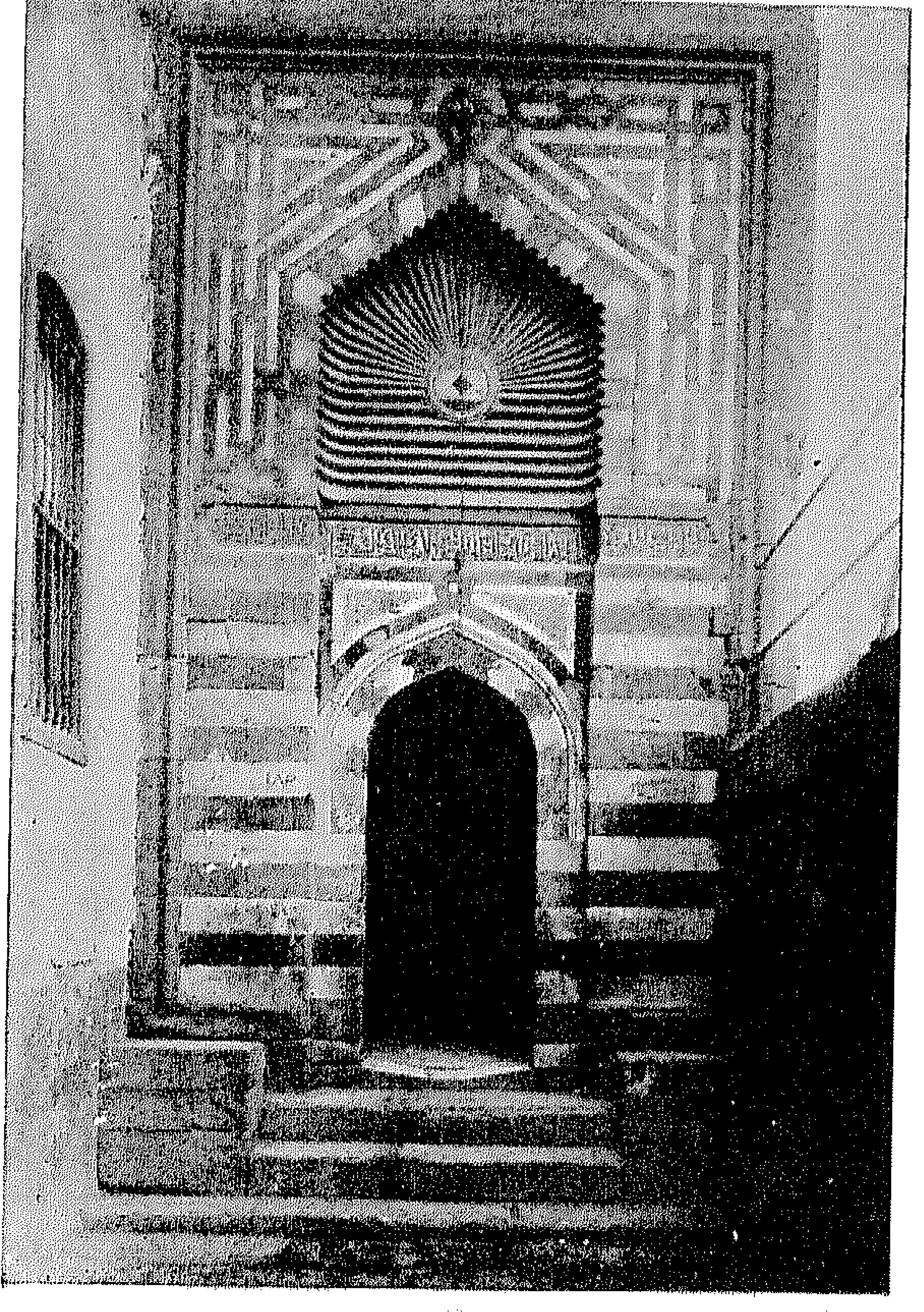


مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة

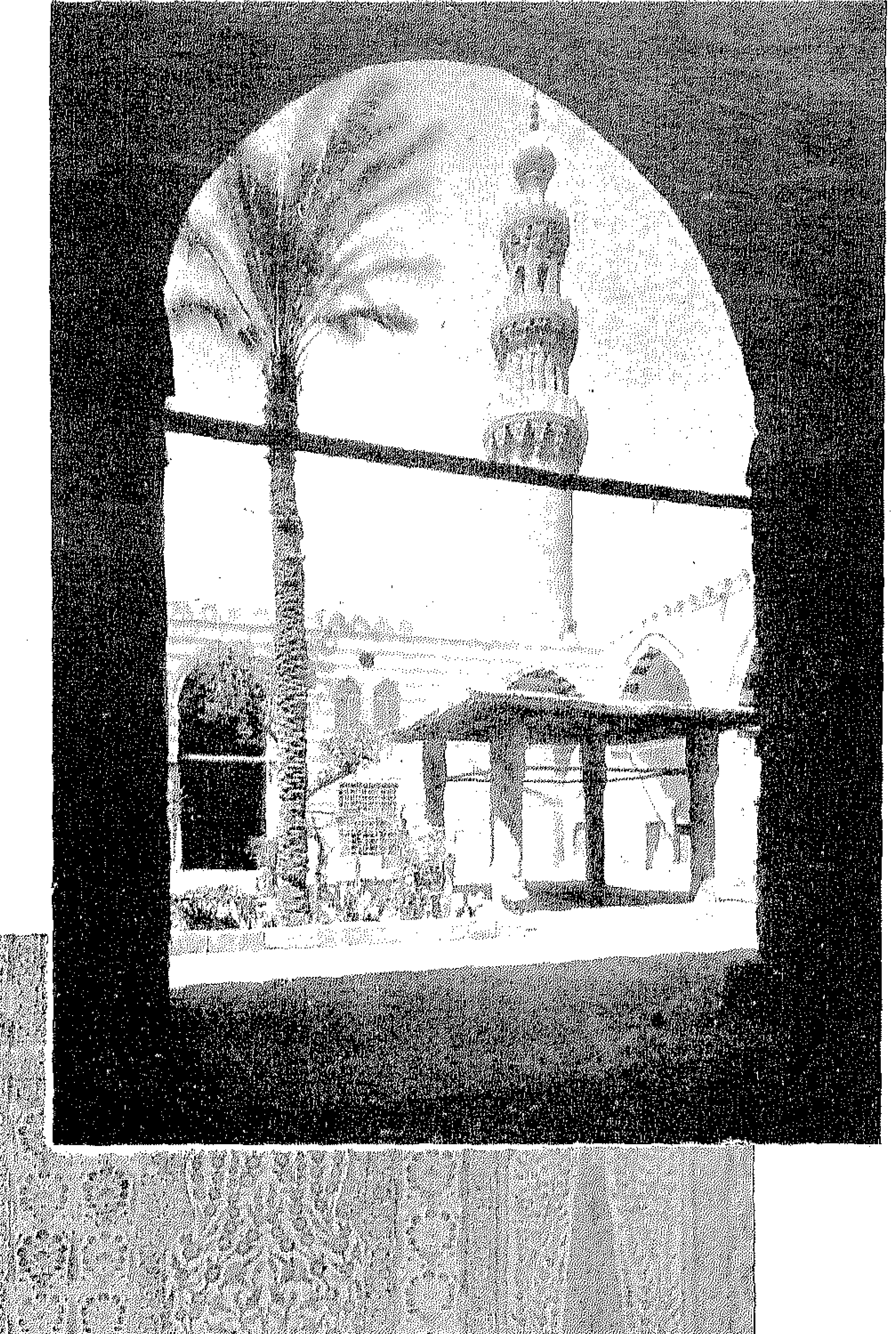
محراب مسجد الطنبغا المارداني



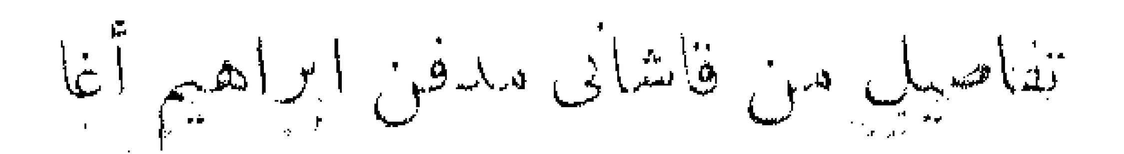
باب قصر الأمير قوصون
(يشبك من مهدى)



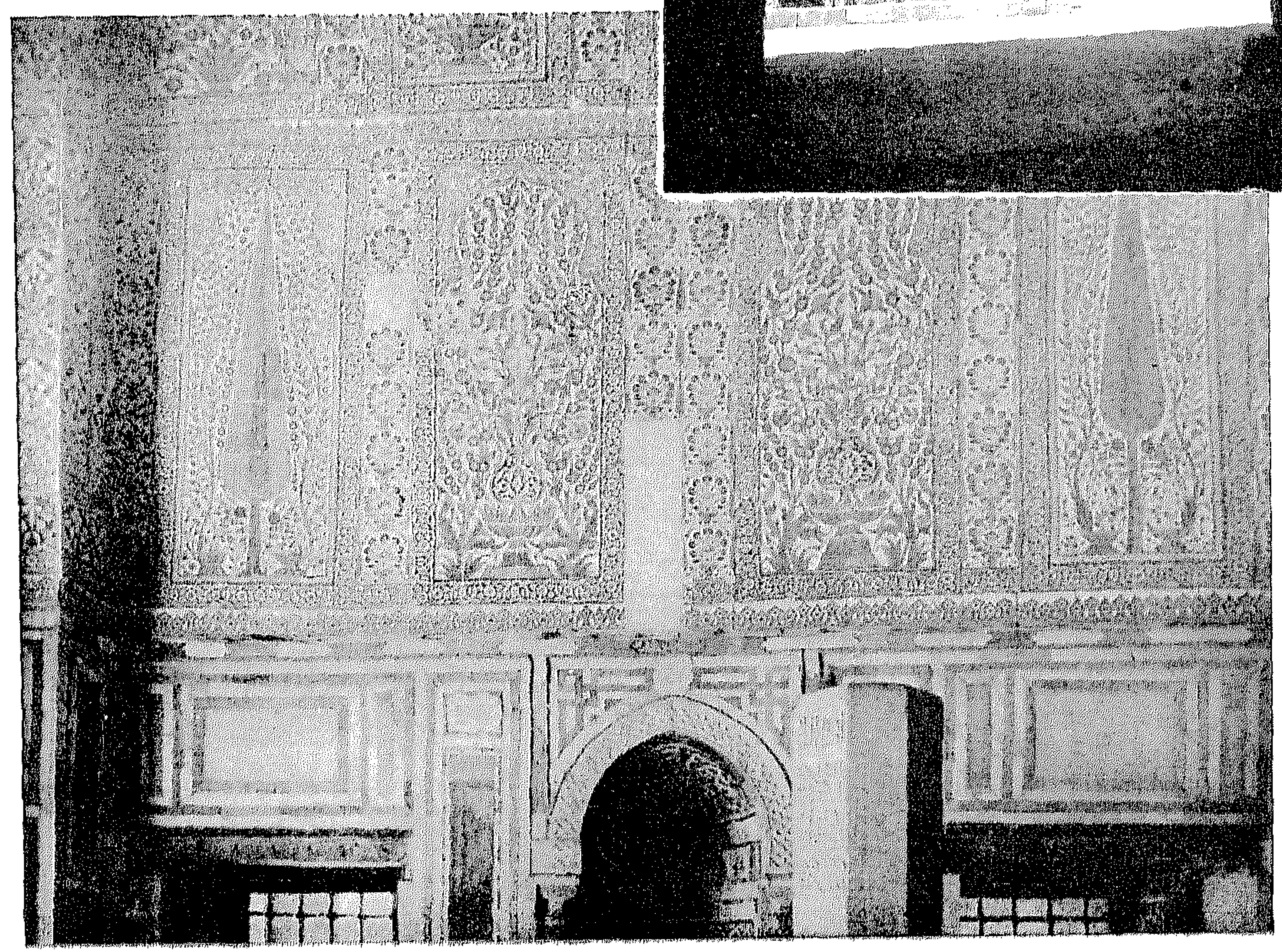
باب حمام الأمير بشتاك
بشارع سوق السلاح

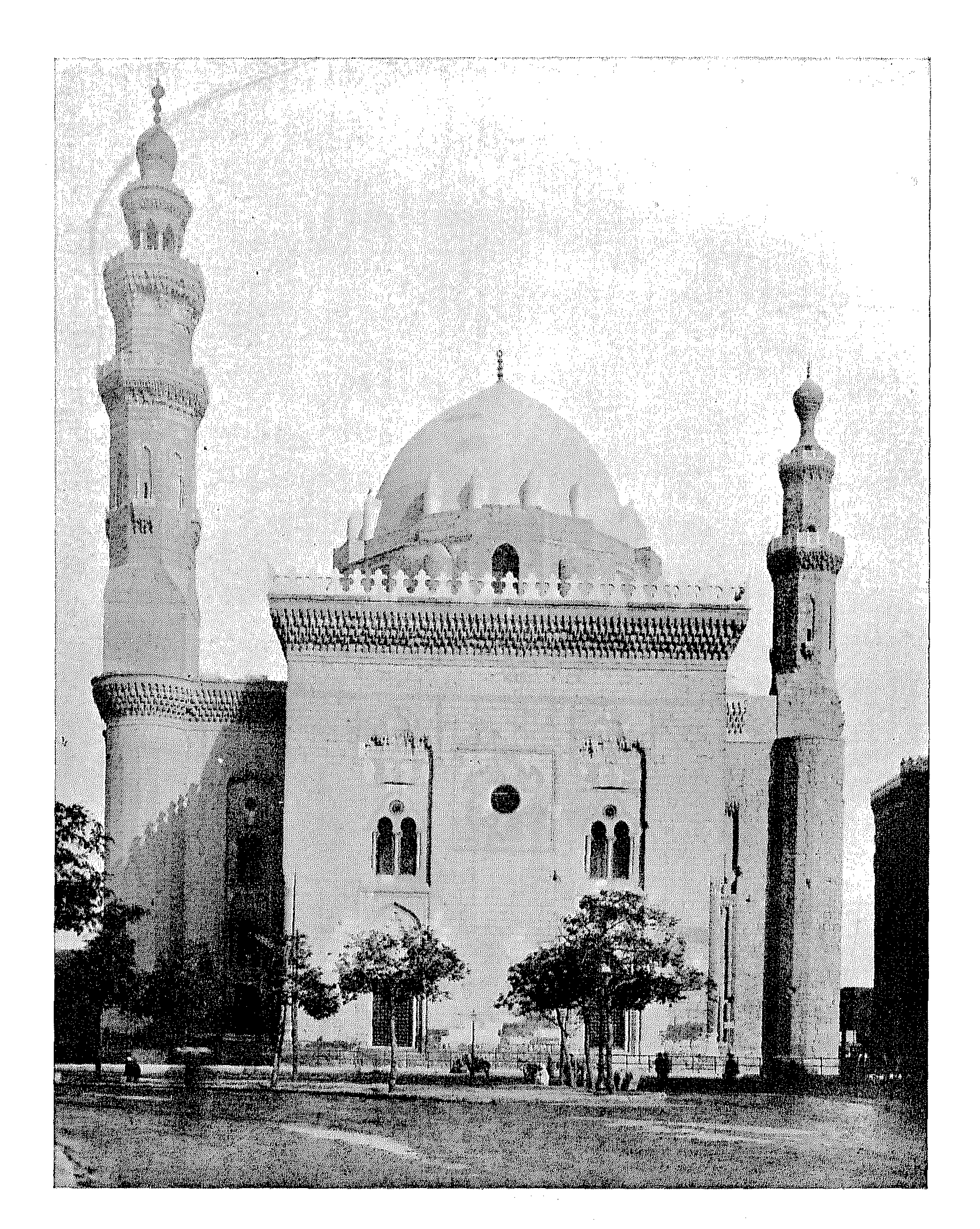


داخل جامع آق سنقر
(ابراهيم أغا)



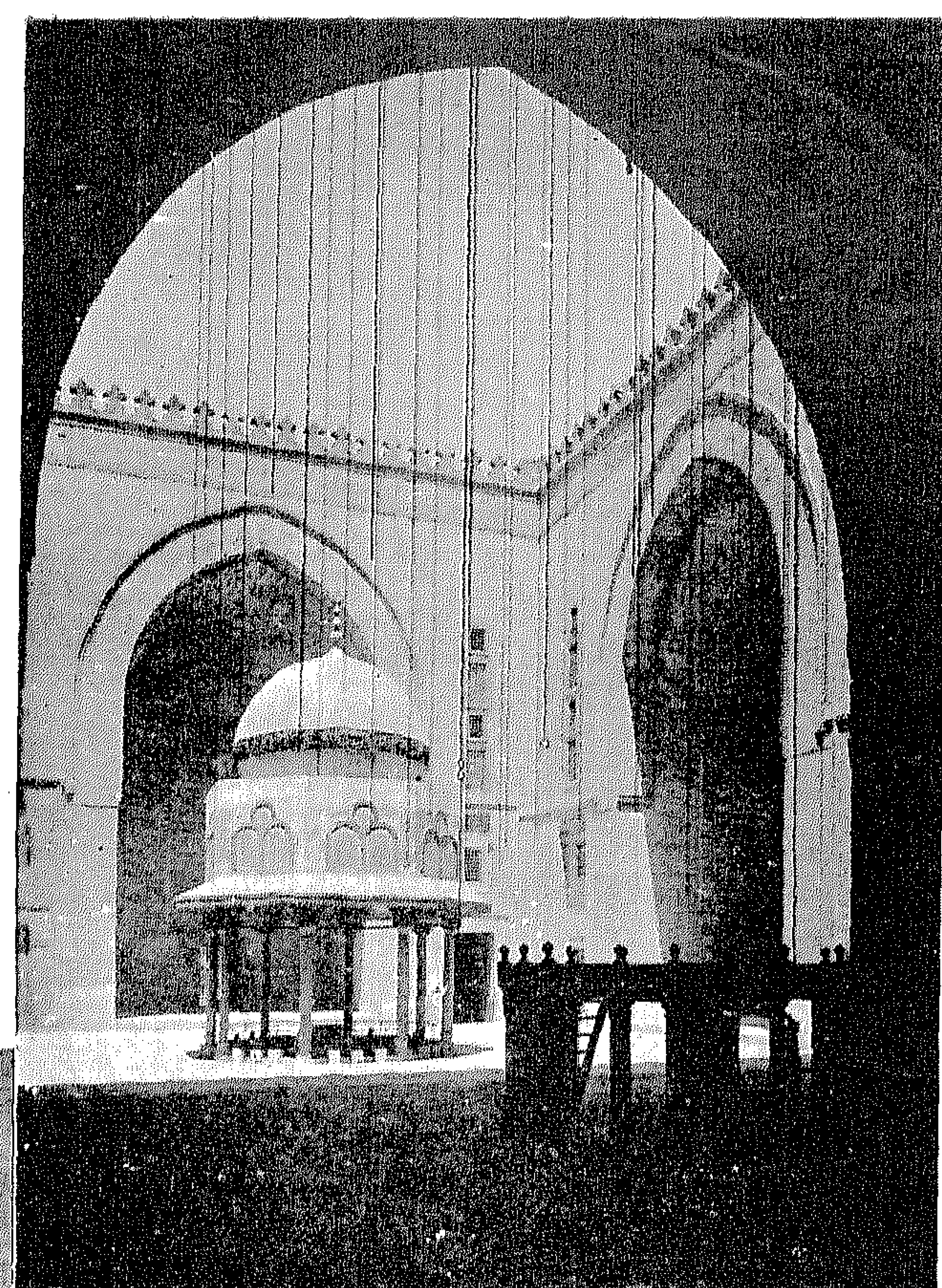
تفاصيل من قاشاني مدفن ابراهيم أغا

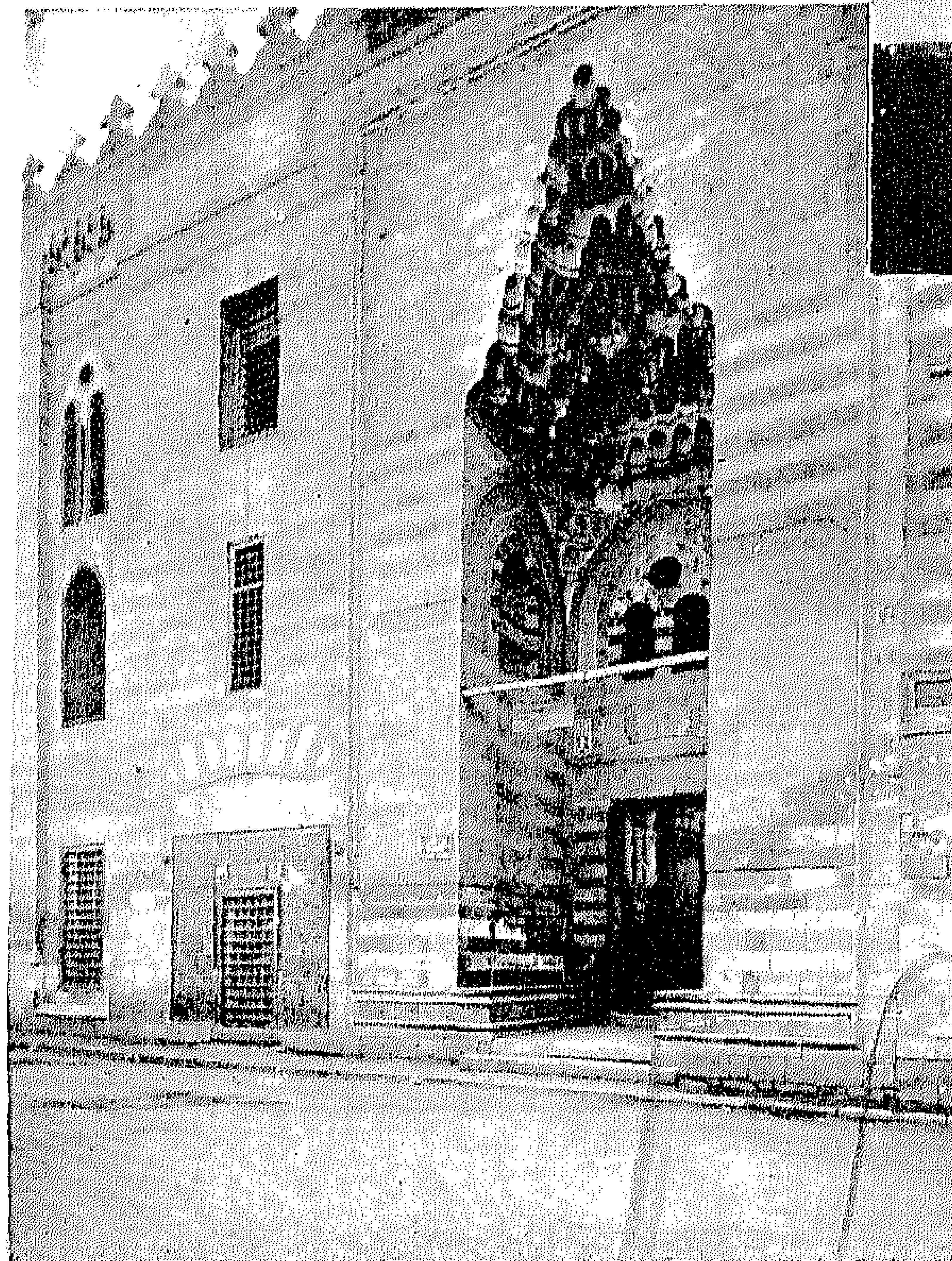




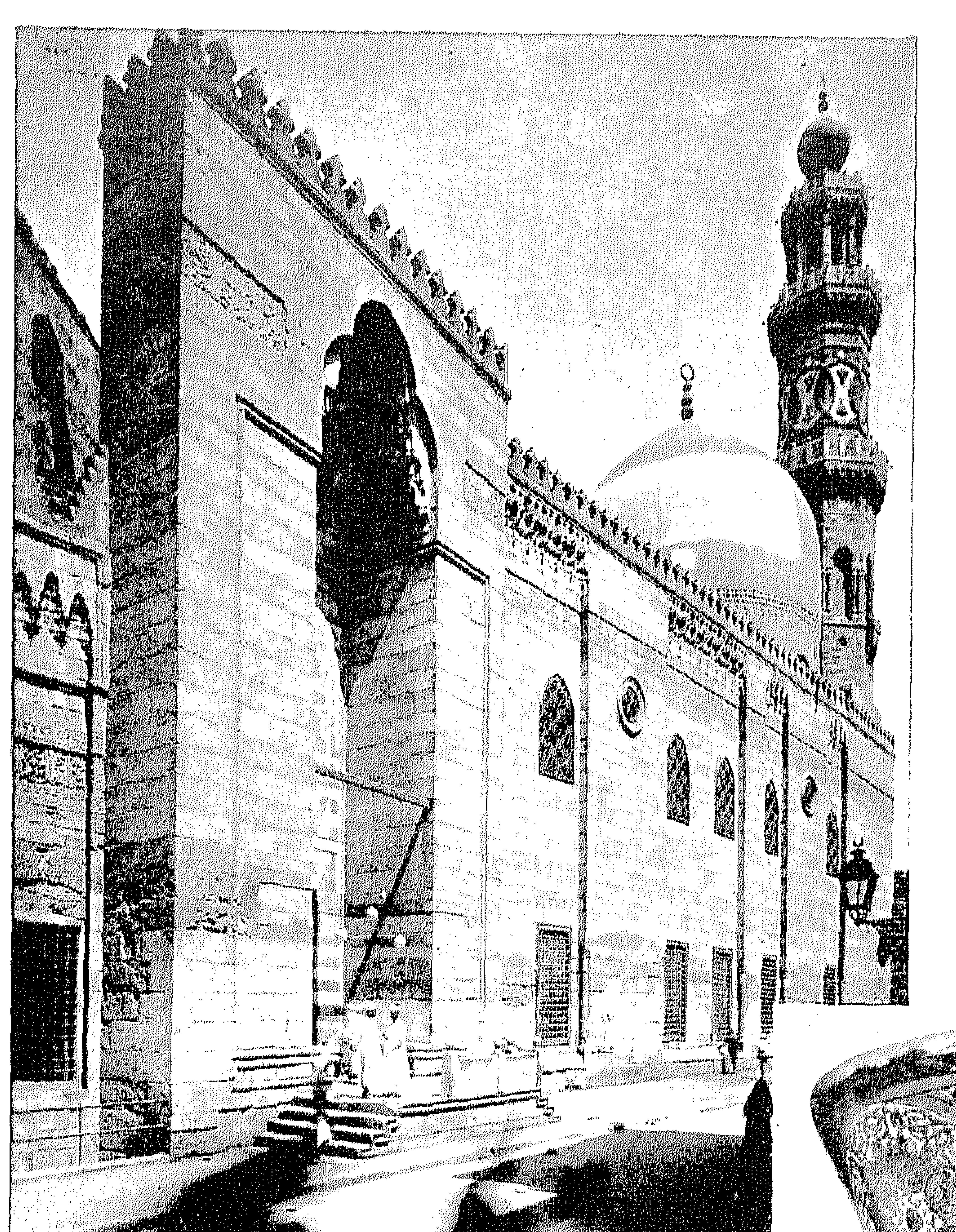
مدرسة السلطان حسن

داخل مدرسة السلطان حسن





وجهة مدرسة أم السلطان شعبان



الوجهة الشرقية
لمدرسة وخانقاه الظاهر برقوق





مشكاة باسم الظاهر برقوق



الوجهة الغربية
لخانقاه الناصر فرج بن برقوق

باب جامع المؤيد شيخ المحمودى

المماليك الجراكسة ، وكان المؤيد مُعنى به ومتعجلا الفراغ منه حتى إنه احتفل بافتتاحه سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) . ولم يكمل بعد ، ويؤخذ عليه نقله مصراعى باب مدرسة السلطان حسن وتركيبهما فى مسجده ، وما زالا حتى الآن وعليهما اسم السلطان حسن .

وفى الإيوان الشرقى تتجلى بدائع الفن . فالزخرف يغمر هذا الإيوان من الأرض إلى السقف ، وقد انتهز مهندسه فرصة وجود باب زويلة بجوار المسجد فاتخذ من بدنتيه قاعدتين لمنارتيه ، وهو اعتداء صارخ فى نظر الأثريين ، ولكنه كان موفقاً فيه كل التوفيق .

مدرسة الأشرف برسباى — بالأشرفية

أنشأها الملك الأشرف برسباى الدقاقى وانتهت عمارتها سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٥ م) ، ولهذه المدرسة منارة رشيقة وقبة حليت بزخارف دالية ، وامتازت بدقة وجمال أرضيتها الرخامية ومنبرها المطعم بالسن وسقف إيوانها الغربى المحلى بالنقوش المذهبة .

خانقاه الأشرف برسباى — بالقرافة الشرقية

ومن إنشائه خانقاه بالقرافة الشرقية سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣٢ م) ، وألحق بها مصلّى وقبة له ، ويسترعى النظر فى المصلى والقبة جمال الأرضيات والوزرات الرخامية التى لا نظير لها ، أما المنبر فإنه منقول من مسجد الغمرى ؛ وهو منبر قيّم طعمت حشواته بالسن والزرنشان والأويمة برسوم ميزته على كثير من المنابر المعاصرة له . وترجع صناعته إلى حوالى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) وصانعه هو النجار الماهر أحمد ابن عيسى بن احمد الدمياطى .

مسجد قايتباى — بالقرافة الشرقية

أنشأه الملك الأشرف ابو النصر قايتباى المحمودى سنة ٨٧٩هـ (١٤٧٤ م) ، وهو يكون مجموعة من مدرسة وملحقاتها وقبة وسبيل وكتاب ، والزائر لها يستهويه جمالها ورشاقتها ، فقد تنوّعت

رسوم الأرضيات الرخامية ورسوم السقوف ، وامتازت منارتها وقبتها بالرشاقة ودقة الزخرف ، ولا غرو فهى محط رحال زائرى مصر لأنها جمعت أرقى التفاصيل المعمارية التى وجدت فى دولة المماليك الجراكسة .

مدرسة قجماس الإسحاقى — بالدرب الأحمر

أنشأها الأمير قجماس الإسحاقى الذى كان أميراخور فى دولة الأشرف قايتباى ثم عين نائباً للشام ، وكان الفراغ من إنشائها سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) ، وهى من أكثر مدارس دولة المماليك الجراكسة زخرفاً ، بل وتعتبر نموذجاً كاملاً لمنشآت هذا العصر ، فهى غنية بمختلف الصناعات ، وجميع تفاصيلها منسجمة وتنتقل العين فيها من حسن إلى أحسن ، وامتاز محرابها بوجود اسم صانعه فيه بشكل زخرفى بما نصه — عمل عبد القادر النقاش — وسواء أكان هذا الصانع نقاشاً أم مرخماً فهو صانع ماهر ، وهو الذى قام أيضاً بأعمال النقش فى محراب و إيوان المدرسة المزهرية بحارة برجوان المنشأة سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) ،وهى أيضاً من طرائف العمارة الإسلامية .

مسجد قانى باى الرماح — بميدان صلاح الدين

أنشأه الأمير قانى باى قرا المعروف بالرماح ، وكان الفراغ من إنشائه سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) ، ولم تستعمل فيه السقوف الخشبية عدا دركاة المدخل ،أما باقى الإيوانات فقد غطيت بعقود منوعة ، و يعم الزخرف أحجار هذا المسجد كما كان يعمها التذهيب، كما أن قبته من النماذج القيمة التى تتجلى فيها عظمة القباب المملوكية ، وفى سنة ١٩٣٩ أعادت إدارة حفظ الآثار العربية بناء منارته المزدوجة الرأس طبقاً لأصلها .

مسجد الغورى — بشارع الغورية

أنشأه الملك الأشرف ابو النصر قانصوه الغورى سنة ٩٠٩ — ٩١٠ هـ (١٥٠٣ — ١٥٠٤ م) .

ولاشك فى أن هذا المسجد يعتبر تحفة هذا العصر ، فقد عنى به عناية بالغة ، كما أفرط فى زخرفته إفراطاً أخرجه من وقار المساجد إلى بهرجة القاعات ، مما حـدا بالسلطان سليم أن يصفه حينما زاره بقوله : « هذه قاعة تاجر » .

وكما حرص مهندسه على التماثل والمضاهاة فى جميع أجزائه الداخلية ، فقد تعدى هـذا التماثل إلى خارجه فأنشأ تجاهه مدرسة وقبة وسبيلاً وكتّاباً اتفقت معه طولا وعرضاً وزخرفاً ، فهيأ لمن يعبر بينهما فرصة المتعة بجو فنىّ يملأ النفس روعة وجلالاً .

العصر العثمانى سنة ٩٢٣ — ١٢١٣ هـ (١٥١٧ — ١٧٩٨ م)

كان لسقوط دولة المماليك الجراكسة ، ودخول مصر فى حوزة الدولة العثمانية أثر كبير فى تأخر الفنون والعمارة ، فما إن تم للسلطان سليم الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧ م) حتى جمع مهندسيها وفنانيها وخيرة صناعها وأرسلهم إلى استامبول . و بذلك قضى على النشاط الفنىّ والصناعىّ فى مصر إلى حد كبير .

و بسبب تولى حكام أتراك نائبين عن السلطان فى الحكم ، أدخلت على العمارة أساليب جديدة لم تكن مألوفة بمصر . وأنشئت مساجد تظهر لأول مرة بطرزها وزخارفها أذكر منها :

مسجد سليمان باشا — بالقلعة

هذا المسجد من المساجد التى كانت قائمة قبل إنشاء القلعة شيده الأمير المرتضى أبو المنصور قسطه الآمرى سنة ٥٣٥ هـ (١١٤١ م) ، وفى سـنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م) جدد إنشاءه سليمان باشا الخادم الذى عين والياً على مصر سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٦م) . و يعتبر هذا المسجد أول المساجد التى أنشئت على الطرز العثمانى البحت ، فهو مقسم إلى قسمين : الشرقى المعد للصلاة وتغطيه قبة كبيرة يحيط بها أنصاف قباب نقشت من الداخل بنقوش دقيقة ملونة ، و كتبت بها آيات من القرآن بخطوط متنوعة

بأشكال زخرفية ، وكانت مكسوة من الخارج بقاشانى أخضر . والقسم الثانى صحن مكشوف تحيط به أروقة مغطاة بقباب صغيرة .

مسجد سنان باشا — ببولاق

أنشأه سنان باشا والى مصر سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ، ويتكون من قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب تؤدى إلى ثلاثة أروقة يتألف سقفها من قبوات صغيرة محمولة على عقود ترتكز على أعمدة من الرخام أمام وجهاته الغربية والبحرية والقبلية .

مسجد الملكة صفية — بشارع محمد على

عرف هذا المسجد بالملكة صفية زوجة السلطان مراد الثالث ووالدة السلطان محمد خان الثالث ، وهى فينيسيّة الأصل ، ومنشئه هو عثمان أغا بن عبد الله مملوكها ، ووقف عليه أراضى وعقارات آلت مع المسجد بطريق شرعى إلى سيدته الملكة صفية، فأمرت بإتمامه ونقش لوحة تاريخية باسمها مؤرخة سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠م) وتصميمه مثل تصميم مسجد سليمان باشا إلا أنه أقل منه زخرفاً مع اختلاف فى التفاصيل . وامتاز هذا المسجد بالسلم المستدير أمام وجهاته .

مسجد أبو الذهب — بشارع الأزهر

أنشأه الأمير الكبير محمد بك أبو الذهب سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) ، وألحق به تكية لمتصوفى الأتراك وسبيلا وحوضاً لشرب الدواب . وتصميمه مثل تصميم مسجد سنان باشا ، به قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب تؤدى إلى ثلاثة أروقة معقودة أمام وجهاته الثلاث ، وامتازت منارته عن منارات عصرها بأنها مملوكية الطراز وأقرب إلى طرز منارة مسجد الغورى .

ويلاحظ أن هذا المسجد كان يغلب عليه الزخرف المذهب مما جعل المنشىء يستحق عن جدارة

تلقيبه بأبى الذهب ، وبه نكتفى من سلسلة المساجد العثمانية البحتة وننتقل إلى أجمل مسجد أنشىء فى العصر العثمانى .

مسجد البردينى — بشارع الداودية

أنشأه كريم الدين احمد البردينى سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) ، وانتهت منارته سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م) . وهو وإن أنشىء فى العصر العثمانى إلا أن تفاصيله جميع مقتبسة من تفاصيل العمائر المملوكية . وهو صغير الحجم عبارة عن قاعة صغيرة أحيطت بوزرة رخامية دقيقة جداً . وله محراب رخامى دقيق ومنبر صغير مطعم بالصدف . وتمتاز أيضاً منارته بأنها مملوكية الطرز مما جعل هذا المسجد درة المساجد المنشأة فى العصر العثمانى .

وفى هذا العصر كثر إنشاء السبيل منفرداً يعلوه كتاب ، وأجمل هذه الأسبلة هو السبيل الذى أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا بشارع بين القصرين سنة ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م) . ولم تقتصر أهمية هذا السبيل على تفاصيل وجهاته الغنية بالنقش فى الحجر وبتطعيم الرخام ، بل تعدته إلى داخله المكسو بالقاشانى المرسوم فيه صورة الكعبة الشريفة .

وتخلف من العصر العثمانى مجموعة من المنازل كاملة وغنية بشتى الفنون ، أذكر منها :

منزل الكريدلية — بميدان أحمد بن طولون

أنشأ هذا المنزل الحاج محمد سالم بن جلمام الجزار سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) . وهو فى طريقة بنائه كباقى منازل القرن الحادى عشر من حيث التصميم واشتماله على مقعد يشرف على الحوش وقاعات علوية ، وامتاز عليها بمميزات هامة ؛ منها اشتمال وجهاته المطلة على الحوش على مجموعة من العقود تنوعت أشكالها ومقرنصاتها ؛ ومنها إلحاق سبيل كبير بناصيته الشرقية القبلية ميزته على بقية المنازل بمصر .

ويقابل هذا المنزل منزل آخر عرف بمنزل آمنة بنت سالم يربطه بالأول من أعلى ساباط (كوبرى) محمول على عقد ستينى يظهر من خلفه الباب الشرقى للجامع الطولونى وزيادته البحرية المنتهية بمئذنة مسجد صرغتمش المنشأ سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م).

وهذا المنزل أنشأه المعلم عبد القادر الحداد سنة ٩٤٧هـ (١٥٤٠م)، ويشتمل على قاعة غنية بنقوش سقفها المجددة، وبالفسقية الدقيقة المنقولة إليها، وقد تسلم هذين المنزلين المرحوم جاير اندرسون باشا سنة ١٩٣٥م، وأقام بهما وعنى بتنسيق مجموعاته الأثرية فيهما بذوق سليم. وهى مجاميع مختلفة جمعت شتى الطرف والأثاث من عربية وفارسية وتركية مع مجموعة من السجاد والأكلمة ذات الألوان الزاهية، كما ألحق به مكتبة قيمة.

وفى سنة ١٩٤٢ م غادر مصر وترك هذه المجموعة هبة للحكومة المصرية فعنيت بها وحولت الدارين إلى متحف أطلقت عليه «متحف جاير اندرسون باشا».

وقد أنعم عليه حضرة صاحب الجلالة الملك برتبة الباشوية فى شهر مارس سنة ١٩٤٣ تقديراً له على هبته الثمينة.

منزل جمال الدين الذهبى — بحارة خوشقدم

أنشأه الخواجا جمال الدين الذهبى شاه بندر التجار بمصر سنة ١٠٤٧ هـ (١٦٣٧ م)، وتمثلت فيه جميع تفاصيل الدور القديمة من مدخله المتعرج إلى مقعد يشرف على الحوش إلى قاعة علوية تعتبر أغنى قاعة فى الدور الأثرية.

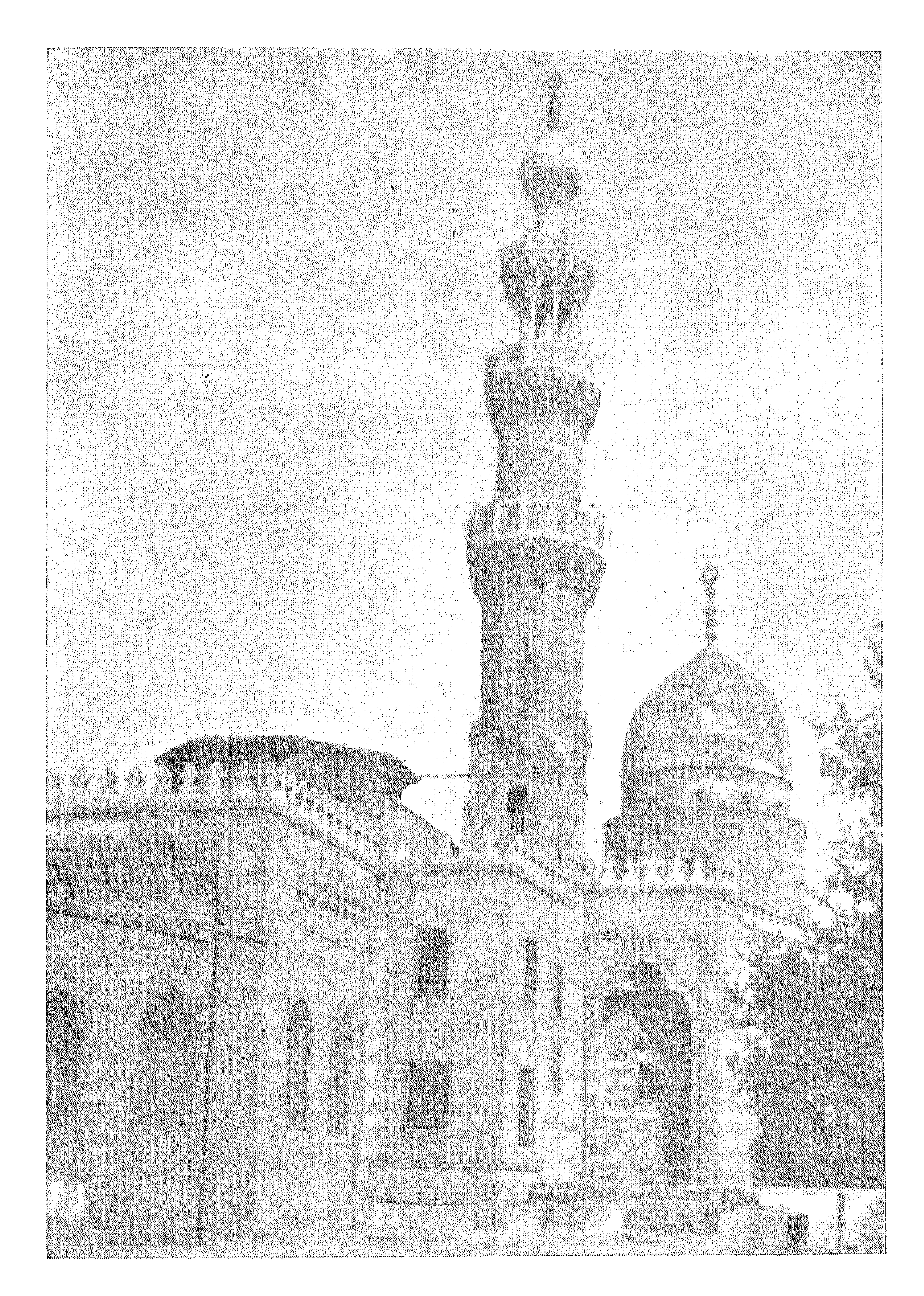
منزل السحيمى — بالدرب الأصفر بالجمالية

هذا المنزل مقسم إلى قسمين: أحدهما وهو القبلى أنشأه الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م)، ويشمل المقعد والقاعة أسفله والقاعة الشرقية القبلية والقسم الآخر، وهو

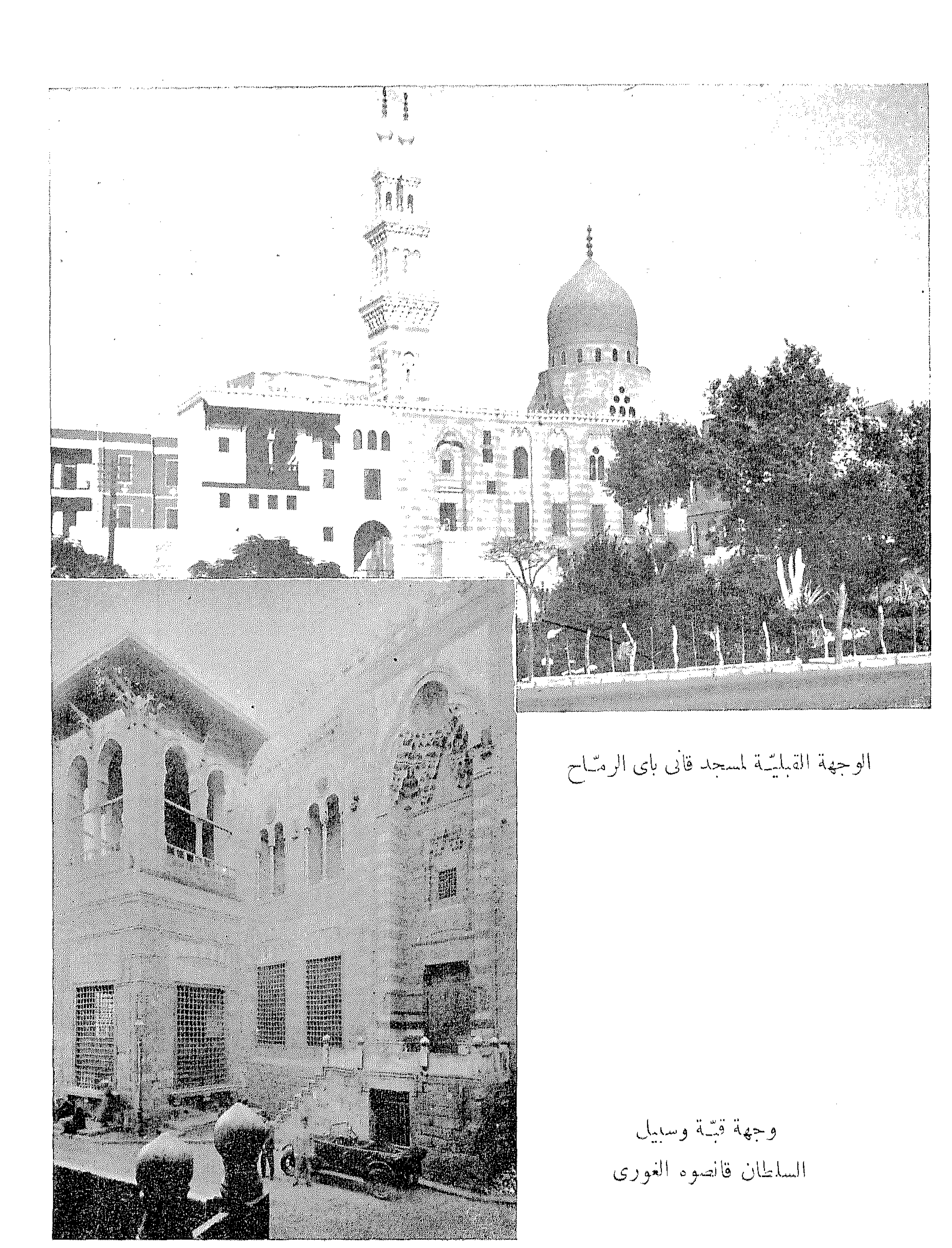


الوجهة الغربية لخانقاه الأشرف برسباى

مسجد السلطان قايتباى
بالقرافة الشرقيّة

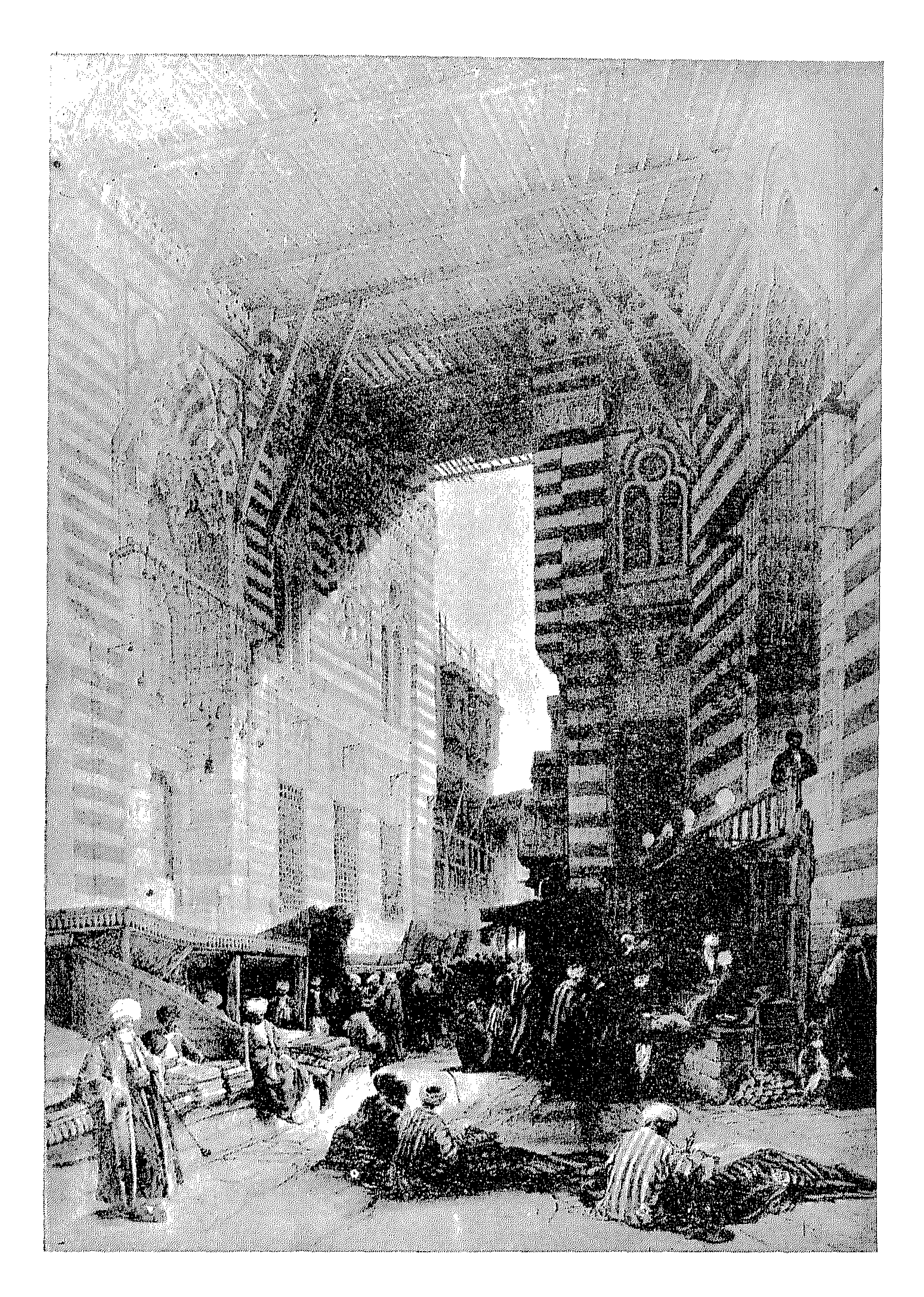


مدرسة قجماس الإسحاقي



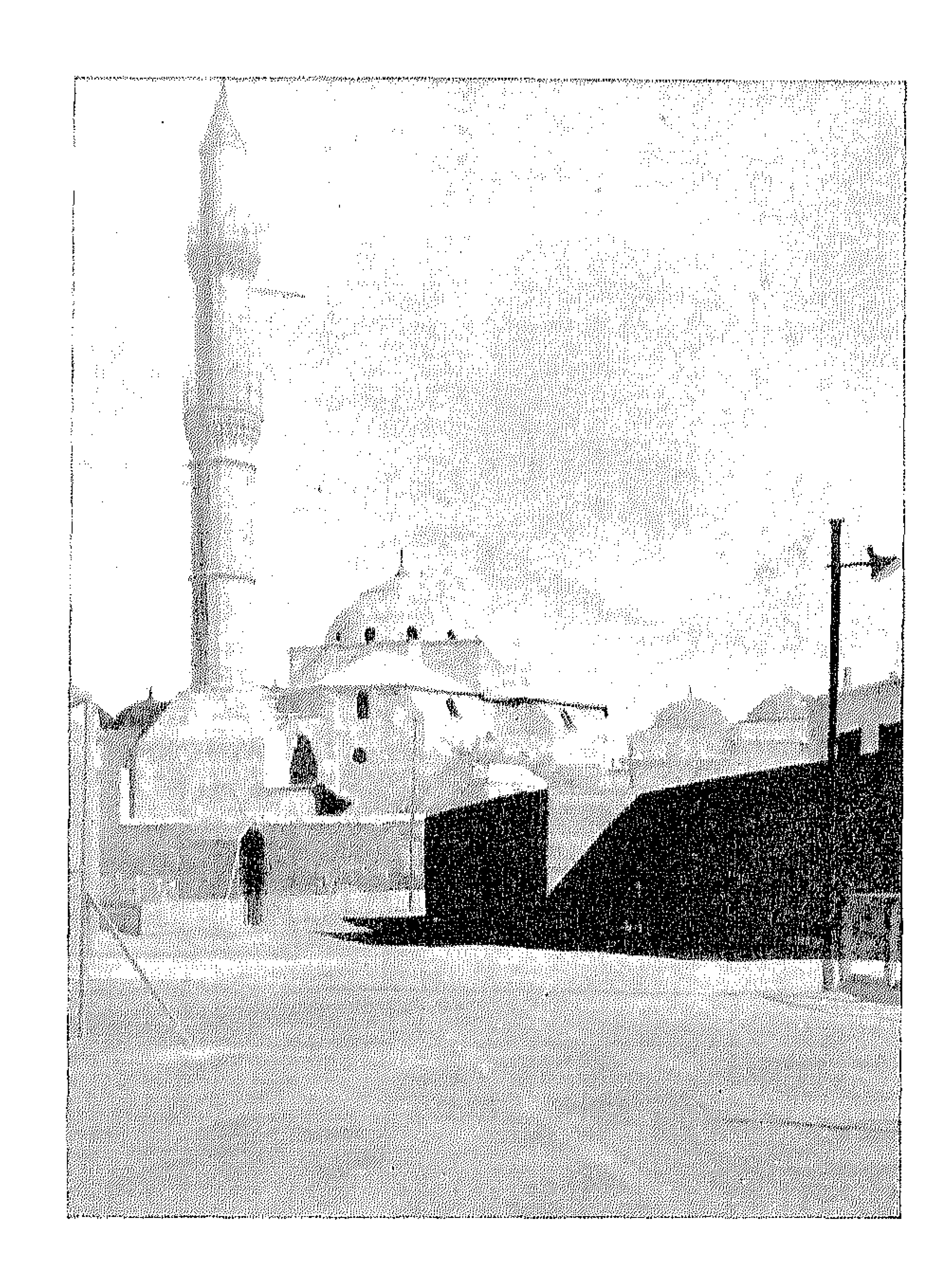
الوجهة القبليّة لمسجد قانى باى الرمّاح

وجهة قبّة وسبيل
السلطان قانصوه الغورى

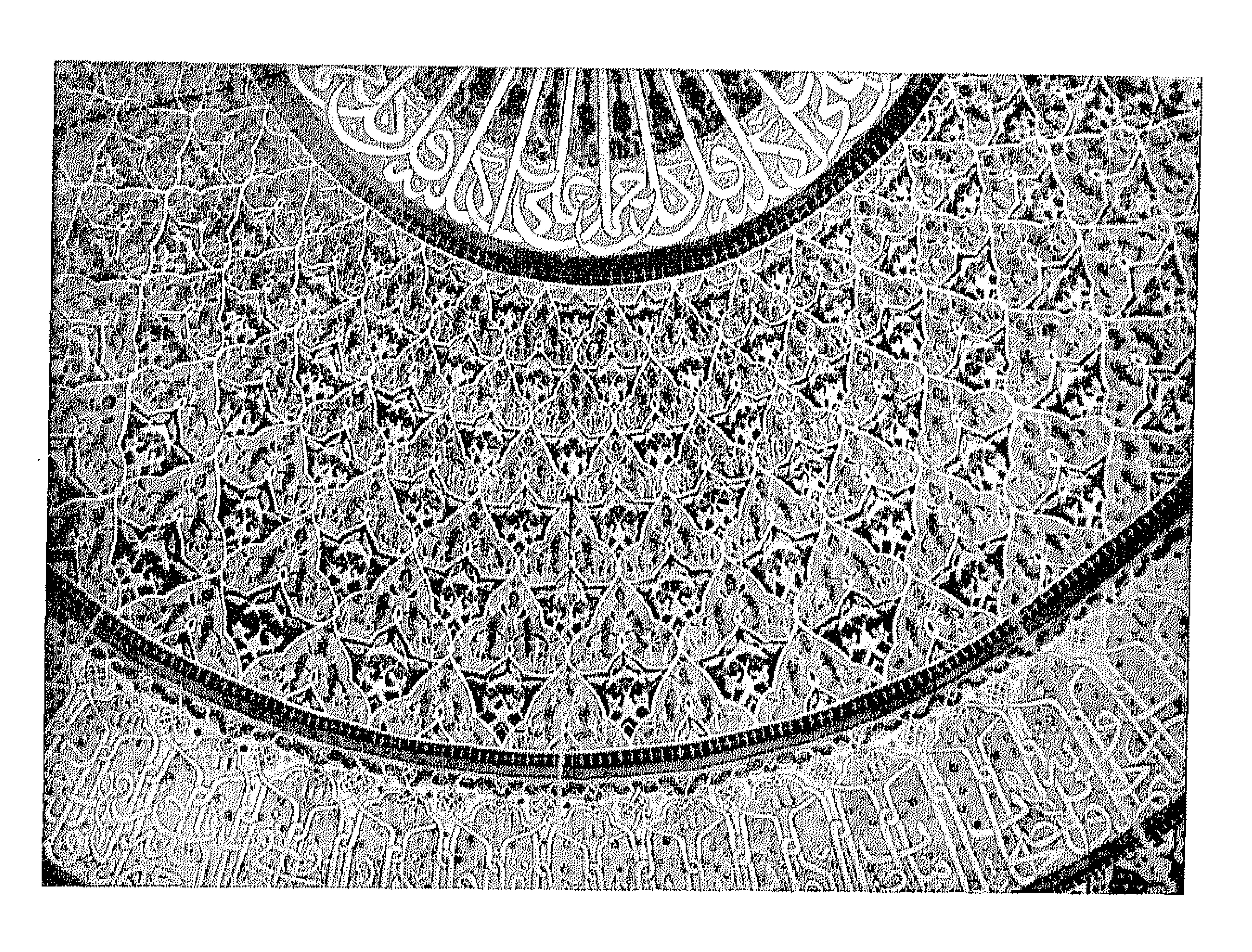


مسجد وقبة السلطان الغورى تجمعهما السقيفة

(عن دافيد روبرت)



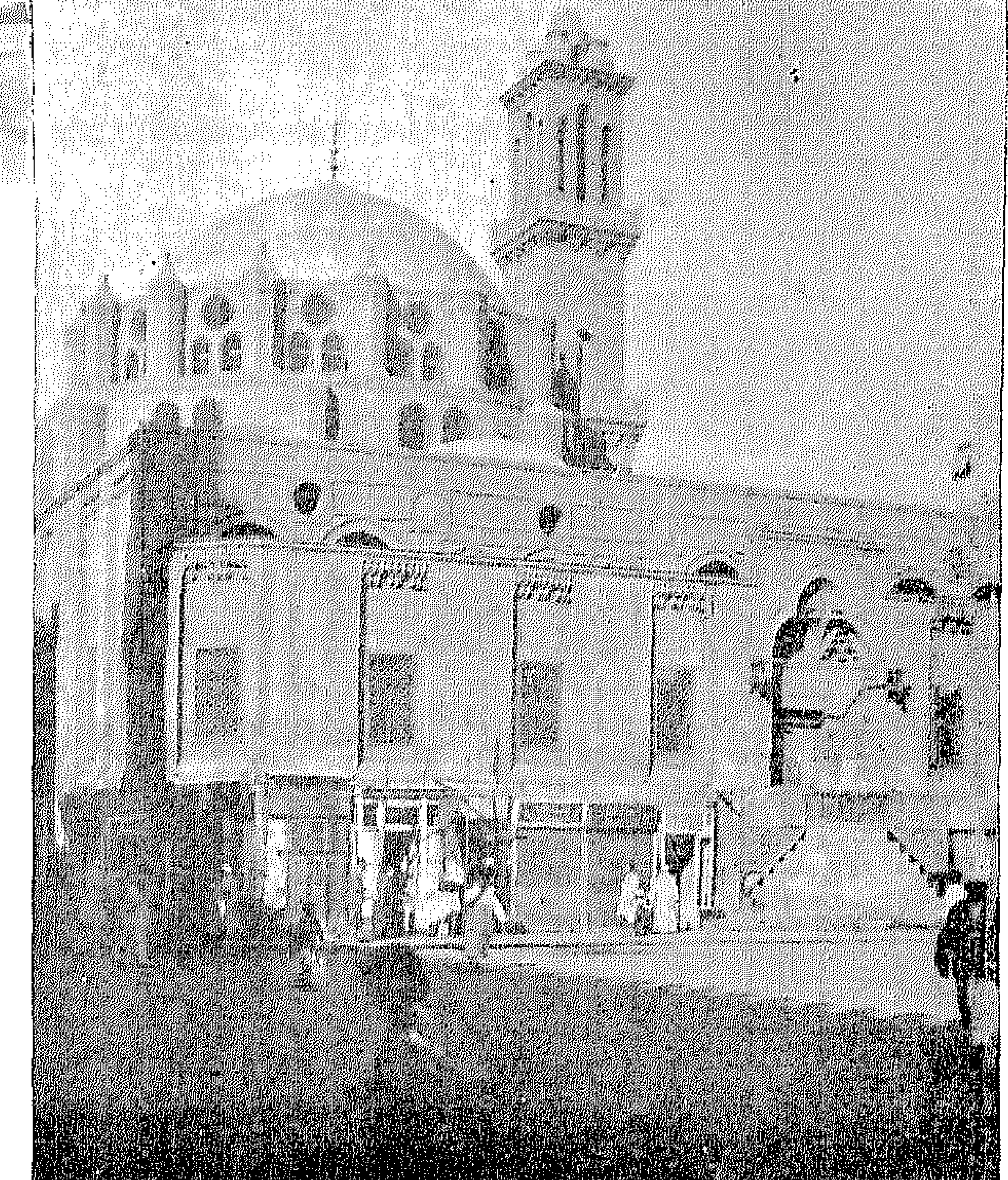
مسجد سليمان باشا الخادم بداخل القلعة



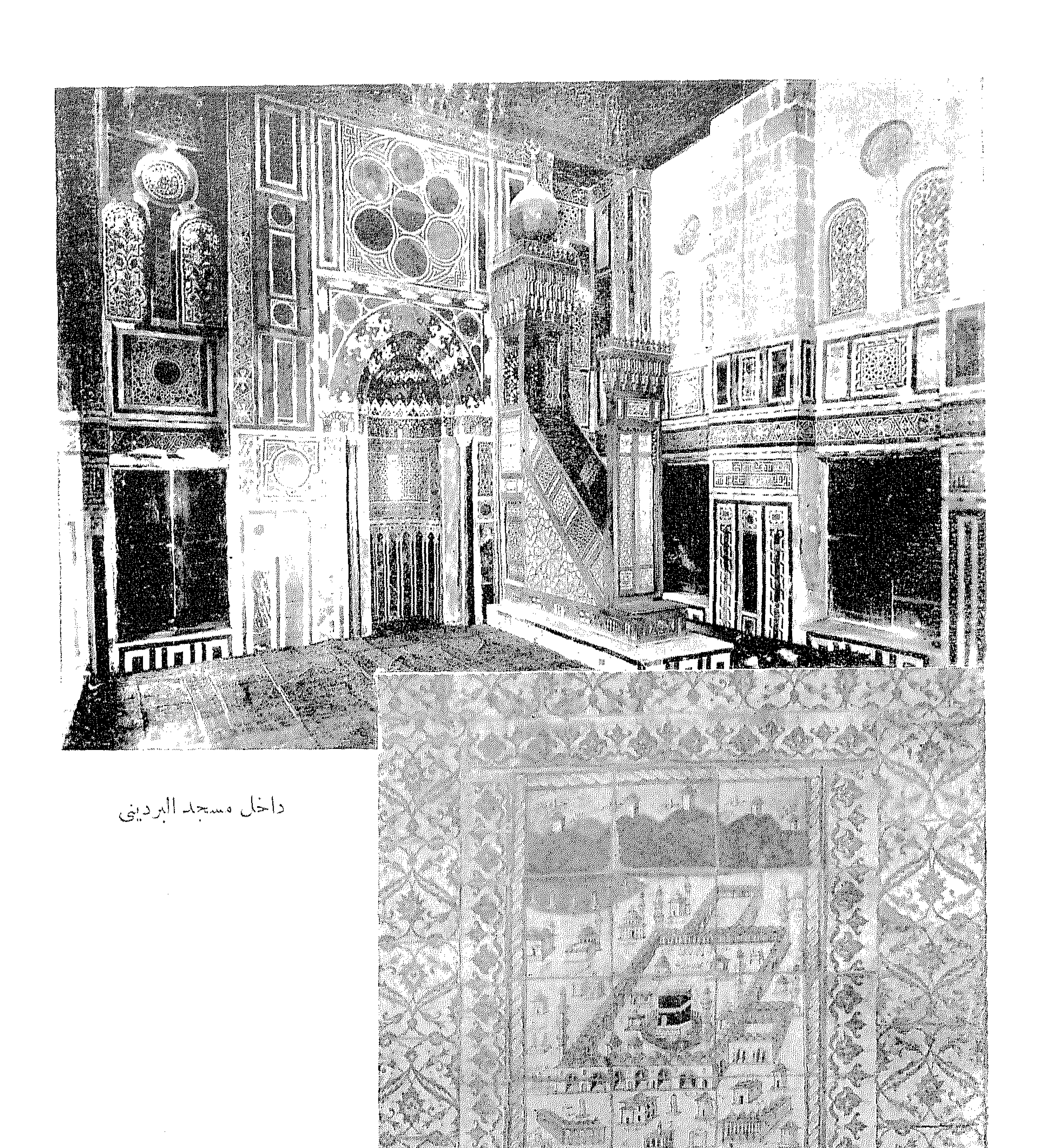
تفاصيل من زخارف القبّة الكبيرة بمسجد سليمان باشا الخادم



الوجهة القبليّة لمسجد الملكة صفيّة

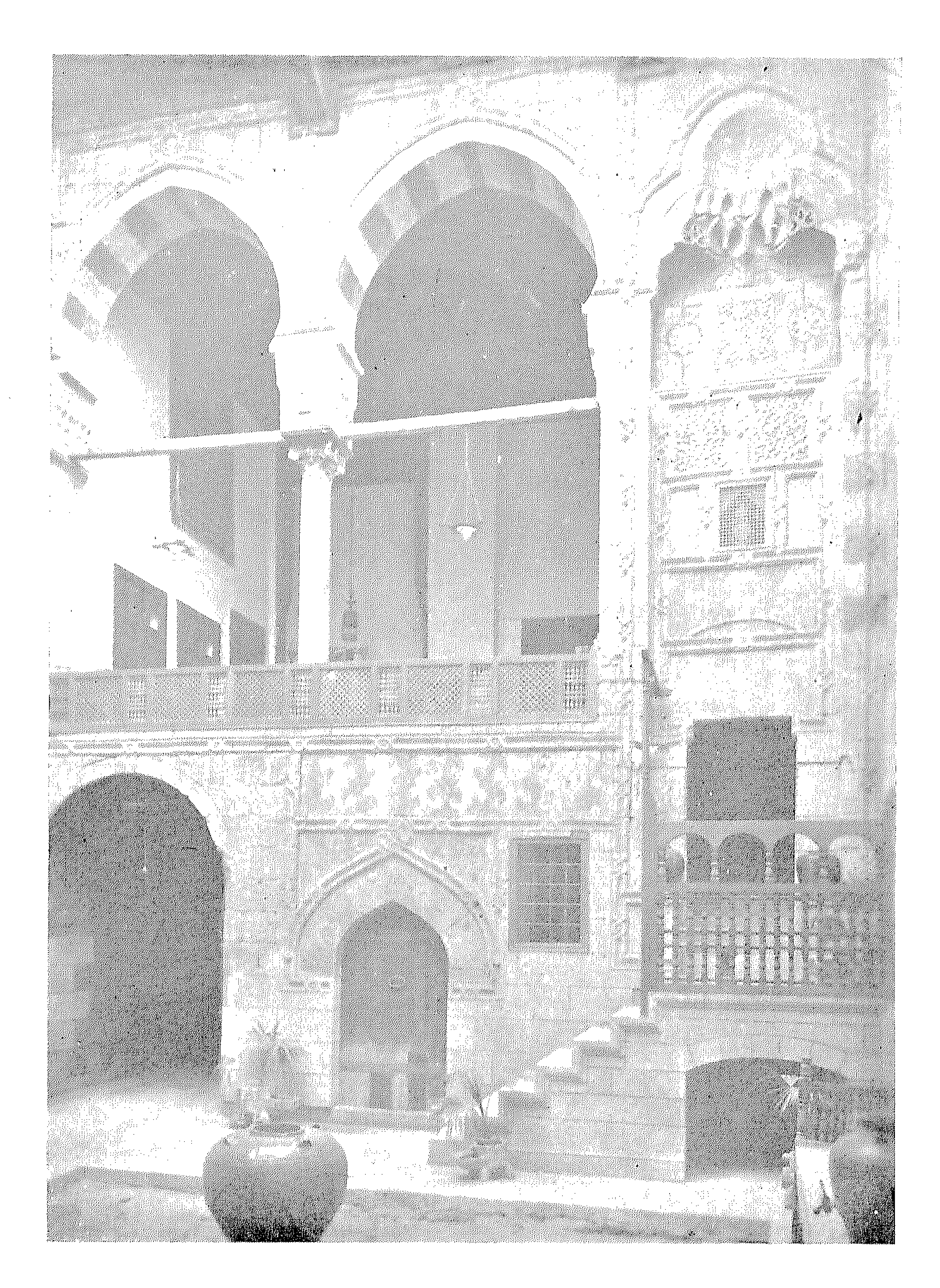


مسجد محمد بك أبو الذهب



داخل مسجد البرديني

تفاصيل من القاشاني بداخل سبيل
عبد الرحمن كتخدا



مقعد بداخل منزل الكريدليّة

البحرى أنشأه الحاج اسماعيل بن الحاج اسماعيل شلبى سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م)، وربطه بالقسم الأول، وهذا القسم غنىّ بزخارفه وخاصة القاعة الغربية ذات الفسقية الدقيقة، والقاعة العلوية البحرية المكسوة جدرانها بمجموعة قيمة من القاشانى.

وعرف المنزل بالسحيمى نسبة إلى آخر مالك له هو السيد محمد أمين السحيمى الذى كان شيخاً لرواق الأتراك بالأزهر.

آثار الأقاليم

وفى هذا العصر الذى رأينا فيه ذلك التنوع فى العمارة وتفاصيلها ودخول عناصر جديدة فيها. نجد العمارة اتخذت طريقاً آخر مكملا لعصر المماليك الجراكسة فى بلدان الوجهين البحرى والقبلى لا يمت بصلة إلى الطراز الذى كان سائداً فى مصر فى ذلك الوقت. بل وظلت تقتبس من طراز دولتى المماليك بشكل مبسط فى مواد البناء مع المحافظة عليه.

وفى بعض هذه البلاد ازدهر البناء بالطوب والتفنن فى نقشه، وخاصة فى مدينة رشيد.

مدينة رشيد

ولمدينة رشيد مكانة عظيمة عند علماء الآثار للفنّين المصرى والإسلامى، فعلماء الآثار المصرية مدينون بالفضل إلى حجر رشيد مفتاح اللغة المصرية القديمة، وعلماء الآثار الإسلامية معجبون بطرز البناء فى منازلها. تلك المجموعة القيمة النادرة. وإلى الآن نرى فيها شوارع كاملة بمنازلها القديمة، أهمها: شارع دهليز الملك وحارة الحاج يوسف وحارة بدر الدين وشارع الشيخ قنديل وحول مسجدى زغلول ودمقسيس. وكلها مجموعات لدور اشتملت على ثلاثة أو أربعة أدوار، يرجع إنشاء غالبها إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى. هذا عدا مجموعة المساجد، ما بين معلقة وغير معلقة، حفلت بشتى الصناعات ما بين بناء دقيق بالطوب الملون إلى قاشانى.

ولمنازل رشـيد شهرة عظيمة ، فقد امتازت بتصميم خاص و بفن مخصـوص ، وهو البنـاء بالطوب الملون .

وهذه المنازل مرتفعة و بناؤها بالطوب تتخلله ميد خشبية . وقد تنوعت أشغال الطوب الملون والكتابات الكوفية المربعة . هذا عدا أشغال النجارة الدقيقة ما بين خرط ، وجمع ، وتطعيم .

وامتازت الدور من الداخل بالدكك الخشبية الثابتة والدواليب المطعمة بالسن والصدف وأماكن الأغانى المتخذة من خشب الخرط والمطعم بالسن و بسلالمهـا المسحورة . وكسوة الجدران بالرخام والقاشانى . مثل الموجود فى منزل محارم بشارع دهليز الملك ، و بالصهاريج المتصلة بفوهات تصلها بالأدوار إلى السطح .

منزل الأماصيلى

ومن الدور الممتازة بها المنزل المعروف بمنزل الأماصيلى المنشأ سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ، وهو من أهم المنازل التى احتفظت بتفاصيلها المعمارية ولم يطرأ عليها تغيير ، ويلفت النظر بابه العمومى بشغل الطوب الملون فيه والتجارة على وجه الدور الأراضى ومجموعة الأخشاب والمغانى بالدور العلوى .

منزل أحمد باشا الضىّ المنشأ سنة ١١٢١هـ (١٧٠٩م)

ويلفت النظر فيه سقف الحجرة المتخذ من الخشب المحلى بنقوش ملونة أعلى المدخل وأشغال الطوب المنجور الملون بمدخله . والسقف المعقود بالدور الثانى .

منزل المناديلى

ومن المنازل الكبيرة برشيد منزل المناديلى ، وهو من الدور المنشأة فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) . ولهذا المنزل وجهتان كبيرتان فيهما ماوردات محمولة على عمد ضخمة ، وحول الباب زخارف بالطوب الملون .

و به من الداخل دواليب مسحورة ، وحجرات نقشت سقوفها بالبوية بمناظر تمثل مراكب صيد ، وواجهة مسجد بمنارتيه .

المسجد العباسى

وقد تجلت صناعة الطوب الملون فى باب المسجد العباسى على النيل . وهو مسجد امتاز بجمال موقعه كما امتاز بدقة صناعته ، وقد أنشأه السيد محمد بك الطبوزاده سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م) وأجمل ما فيه باب القبة المتخذ من طوب دقيق ملون ، ومكتوب على بابه الخشبى اسم صانعه الحاج محمد البالى .

طابية قايتباى

ومن أهم الآثار القديمة الباقية فى رشيد طابية السلطان قايتباى التى أنشأها سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١م) وقد ظلت هذه الطابية تؤدى وظيفتها فى الذود عن رشيد إلى أن احتلها الفرنسيون سنة ١٧٩٨ ثم أجلاهم عنها الانجليز سنة ١٨٠١م .

وقد أجرى الفرنسيون بها ترميمات وأطلقوا عليها قلعة (چوليان)، وفيها اكتشف مسيو بوشار أحد ضباط الحملة الفرنسية أثناء الحفر لترميم القلعة فى شهر أغسطس سنة ١٧٩٩ الحجر المشهور بحجر رشيد مفتاح اللغة المصرية القديمة .

وللجنة حفظ الآثار العربية أكبر الفضل فى صيانة منازل رشيد و إصلاحها.

عصر المغفور له محمد على باشا الكبير

كان لنظام الحكم فى عصر الولاة العثمانيين والبكوات أسوأ الأثر فى حالة مصر الفنية والأدبية والاقتصادية . فاضمحلت الصناعات والفنون والآداب ، وتأخرت الزراعة فقلّت الثروة العامة .

ولما جاء محمّد على باشا استطاع بحكمته وحسن سياسته أن يبعث فى مصر روحاً جديداً و ينهض

بها فى سنوات معدودات ، فشقت الترع ، وأصلحت الجسور ، وأنشئت المدارس والمصانع لشتى الصناعات ، وكان من أثر رعايته ونهضته هذه أن دبت الحياة فى مصر .

وإن مصر لتزدان بجملة منشآت عمارية تحمل اسمه الكريم فى نواحى القطر من مساجد وأسبلة ومصانع وحصون، إلى قصور فقناطر فدار محفوظات فدار ضرب . ودرتها مسجده العظيم الذى يضم جثمانه الطاهر فى القلعة ، ويشرف على القاهرة من عليائه ، فتقر عينه بما وصلت إليه من نهضة ومدنية فى عهد حفيده الفاروق .

مسجد محمد على — بالقلعة

كان الشروع فى إنشاء هذا المسجد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) ، واستمر العمل بلا انقطاع حتى توفى محمد على إلى رحمة الله سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٨م) فدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل المسجد .

انتقل إلى رحمة الله ، وكان المسجد كاملاً عدا زخارفه فأتمها المرحوم عباس باشا الأول ، والمسجد فى مجموعه مستطيل ، وينقسم إلى قسمين : الشرقى منهما مربع الشكل ضلعه من الداخل ٤١ متراً تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ متراً وارتفاعها ٥٢ متراً من مستوى أرضية المسجد . وكسيت جدرانه من أسفل برخام الألبستر، وحلى من أعلاه بزخارف ملونة، والقسم الثانى وهو الصحن تتوسطه فسقية الوضوء، وبمؤخره برج الساعة التى أهداها إلى محمد على لويس فيليب ملك فرنسا سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٥ م) .

وللمسجد منارتان رشيقتان بارتفاع ٨٤ متراً عن مستوى أرضية الصحن .

وموقع هذا المسجد من أجمل المواقع ؛ إذ يشرف على القاهرة بمنارتيه الرشيقتين وقبته الكبيرة ترمقه العيون من جميع نواحيها .

قصور محمد على

كان للمغفور له محمد على عدة قصور بالقلعة وغيرها ، وكانت على جانب عظيم من الأهمية مثل قصر شبرا الذى أنشأه بعد سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ، وألحق به بستاناً استورد له الزهور من مختلف

أنحاء العالم . وأنشأ فى وسطه كشك الفسقية الباقى إلى الآن ، وهو من أجمل وأغنى قصوره .

وقصر الحرم بداخل القلعة والذى أمر بإنشائه سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) ، وهو أكمل قصر من قصوره احتفظ بجميع نقوشه وتفاصيله .

أما الكشك المعروف (بقصر الجوهرة) فقد أمر بإنشائه سنة١٢٢٩هـ (١٨١٣م) وهو قبلى المسجد ، و يشرف على مصر والقاهرة ، وكان مخصصاً لاستقبالات محمد على ومقراً للحكم ، وجميع جدرانه وسقوفه منقوشة ، وعلى أعتاب أبواب حجراته نقشت صور الأسطول المصرى .

ومكتوب على مدخله : الله ولى التوفيق ، يامفتح الأبواب افتح لنا خير الباب .

و بفضل مولانا جلالة المليك أعيدت نقوش هذا القصر إلى أصلها وقد شمل برعايته بقية القصور القديمة وأمر بإصلاحها .

مسجد الرفاعى — بميدان صلاح الدين

هذا المسجد أمام مسجد السلطان حسن ، وهو أجمل مسجد أنشىء فى العصر الحديث ، أمرت بإنشائه المرحومة خوشيار هانم والدة المرحوم إسماعيل باشا سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) . وعرف بالرفاعى نسبة إلى الشيخ على أبو الشباك المدفون فيه ، وهو حفيد السيد احمد الرفاعى الكبير .

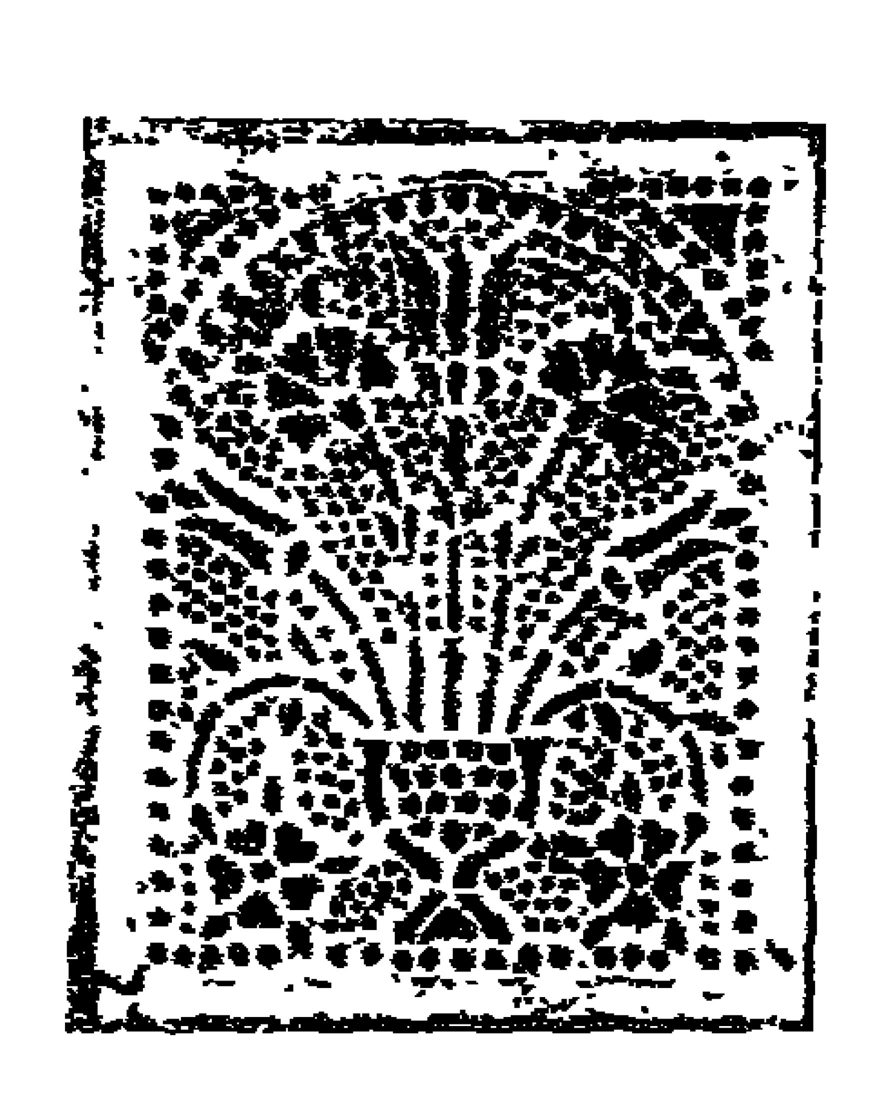
و بعد أن سارت العمارة شوطاً كبيراً أوقفت ثم استؤنفت ثانياً إلى أن تم واحتفل بافتتاحه فى غرة المحرم سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) .

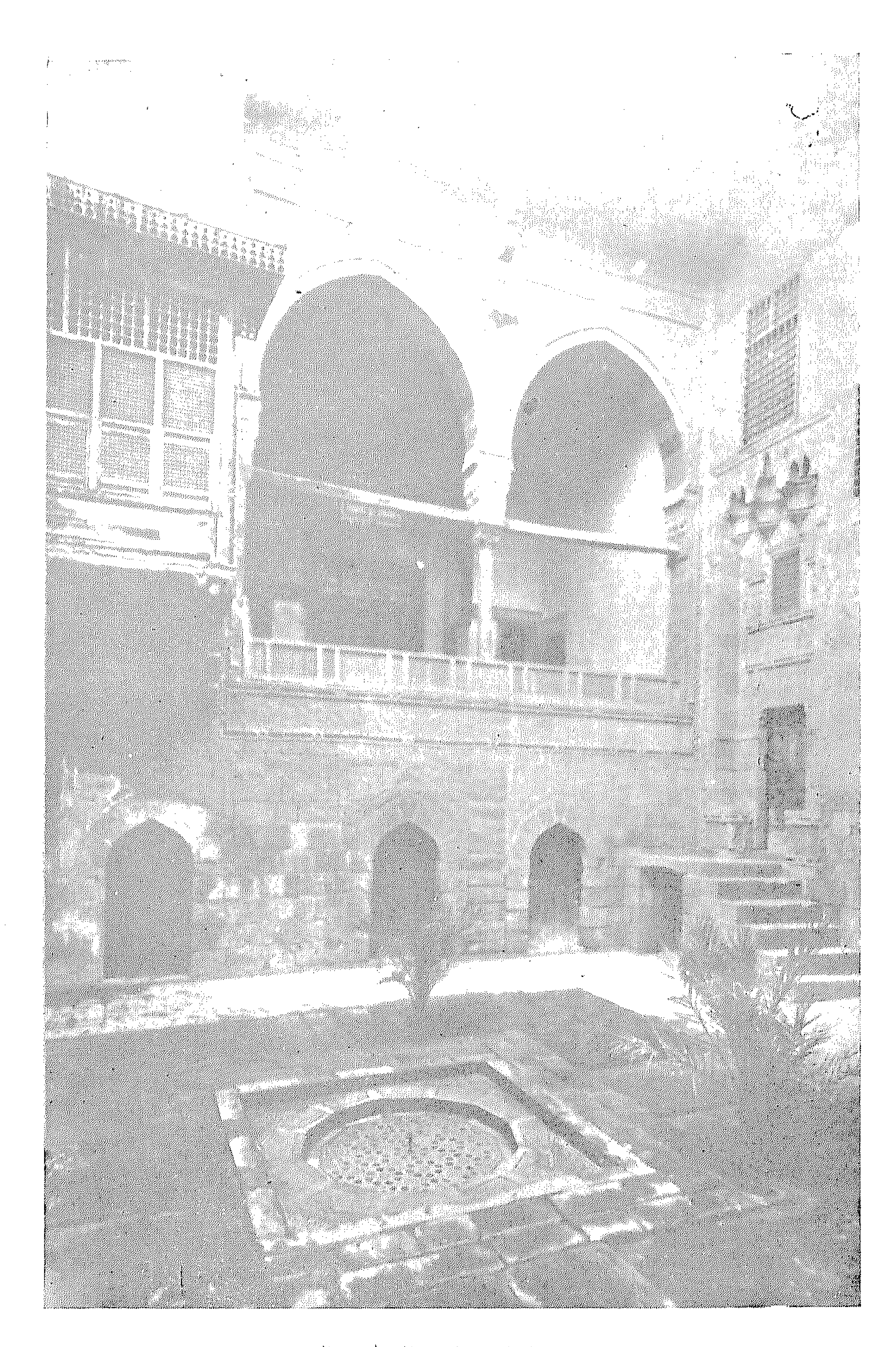
وقد أنشىء ليكون مسجداً جامعاً وليلحق به مدافن للمنشئة وأفراد أسرتها من البيت العلوى ، ولما توفيت سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) دفنت فيه . كما دفن فيه المغفور لهم الخديو إسماعيل وأولاده والسلطان حسين والملك فؤاد وغيرهم .

و إن الزائر لهذا المسجد ليؤخذ بما حواه من فنون جميلة ، وصناعات دقيقة ، وقد نجح مهندسه فى محاكاته لمسجد السلطان حسن فى ضخامته وارتفاعه ، واختار لزخارفه الداخلية من كل أثر أحسنه، حتى كوّن منه درة بين المساجد الحديثة .

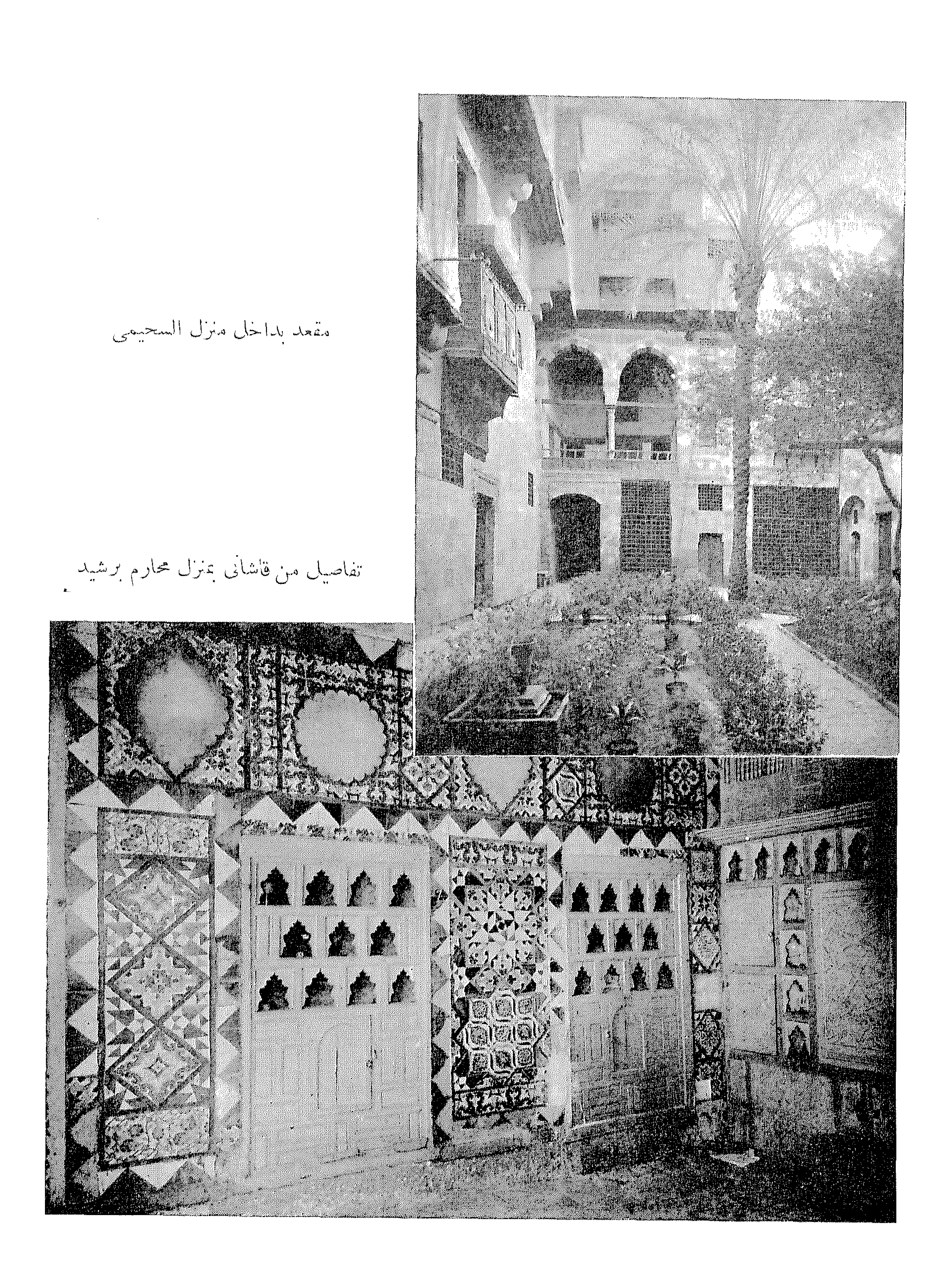
وإذا كان لمنشئ الآثار فى مختلف عصورها فضل تشييدها ، فللبيت العلوى الكريم فضل المحافظة عليها وصيانتها . فما من أثر من آثار مصر إلا ناله من هذا البيت إصلاح وتدعيم ، حتى أصبحت فى عهد « الفاروق » فخر الآثار الإسلامية وعنوان مجدها .

حفظ الله الملك المفدى ، وأعزّ به الإسلام ، وأعلى به منار الدين ؟





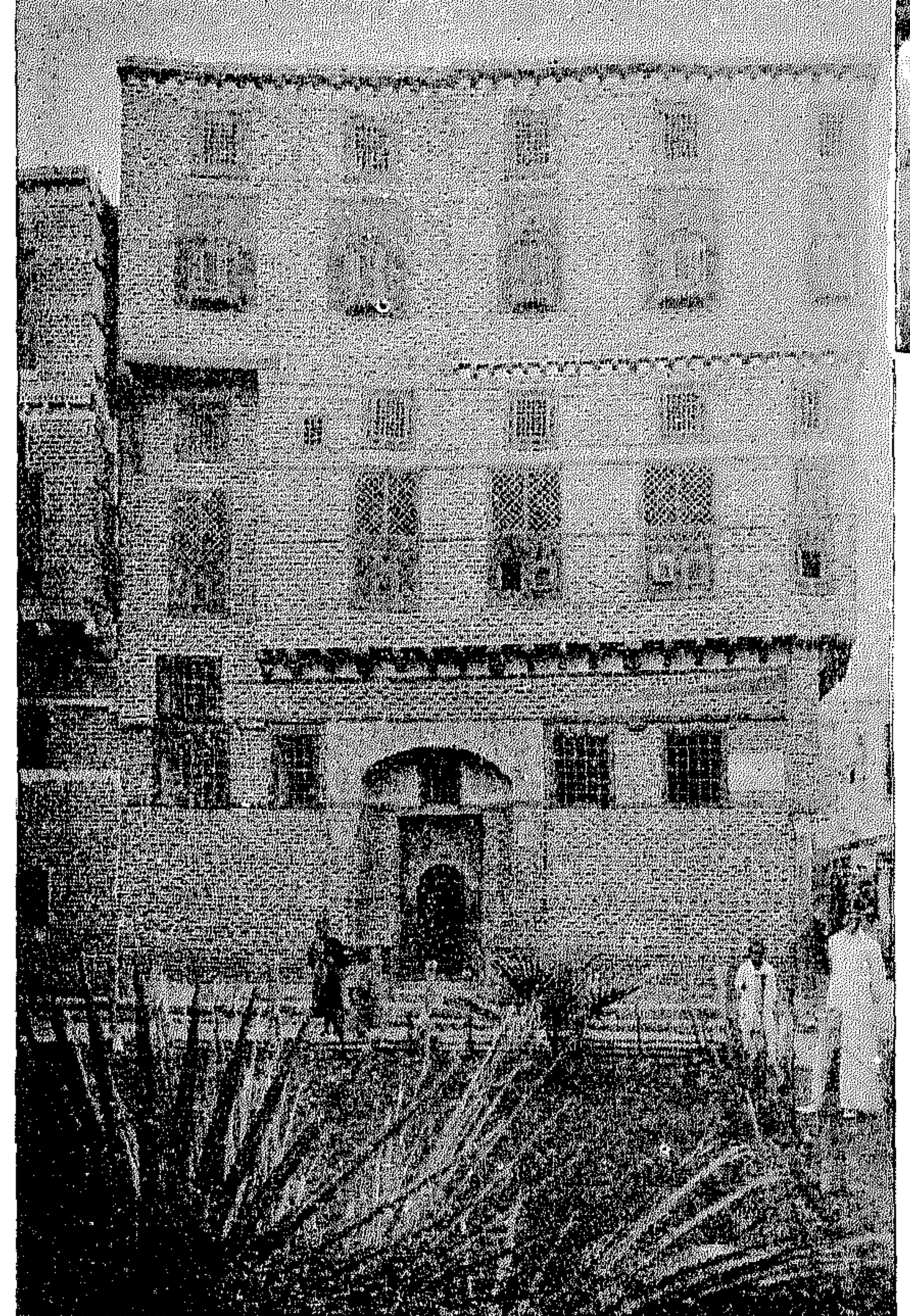
مقعد بداخل منزل جمال الدين الذهبي



مقعد بداخل منزل السحيمى

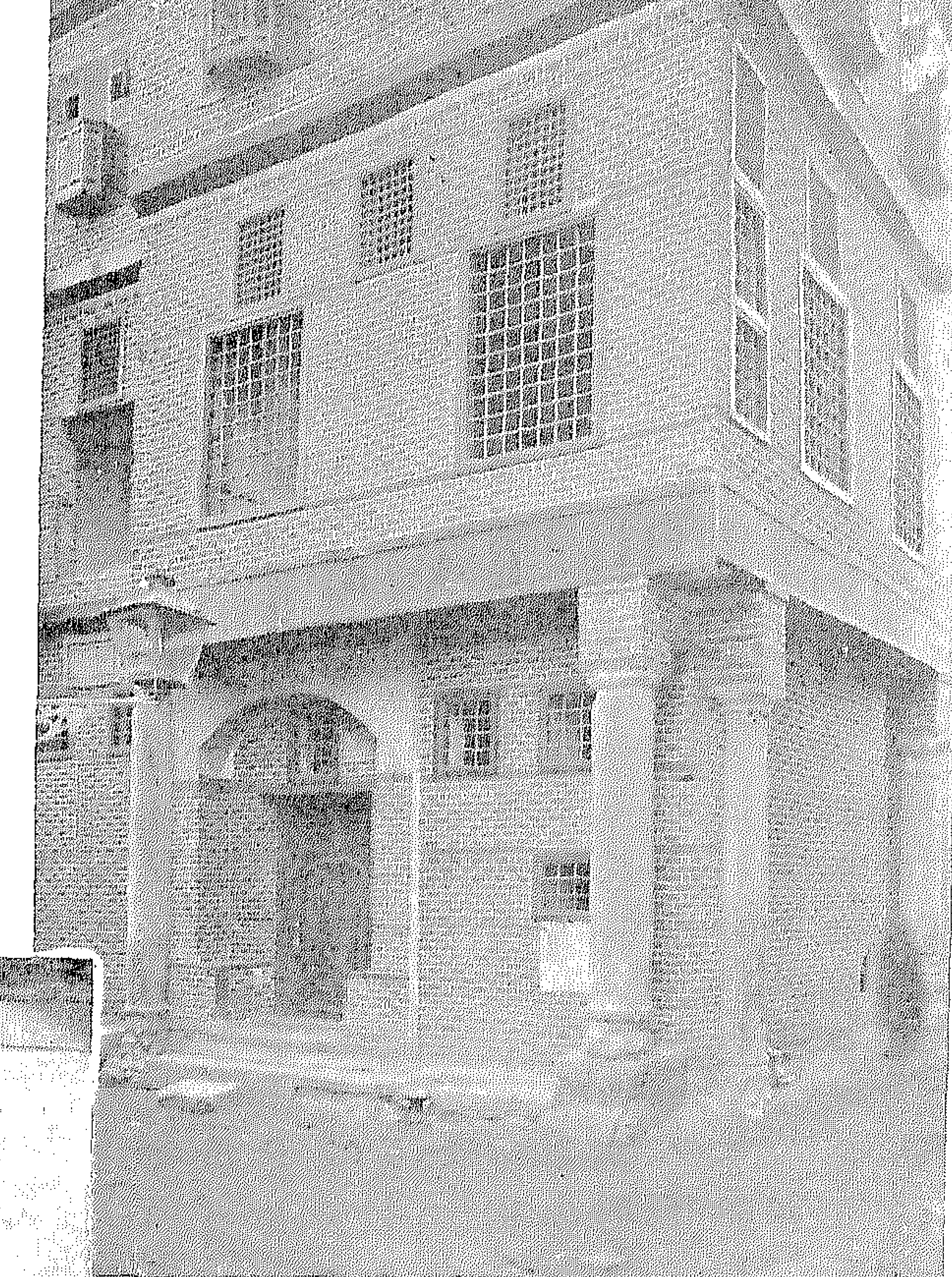
تفاصيل من قاشانى بمنزل محارم برشيد

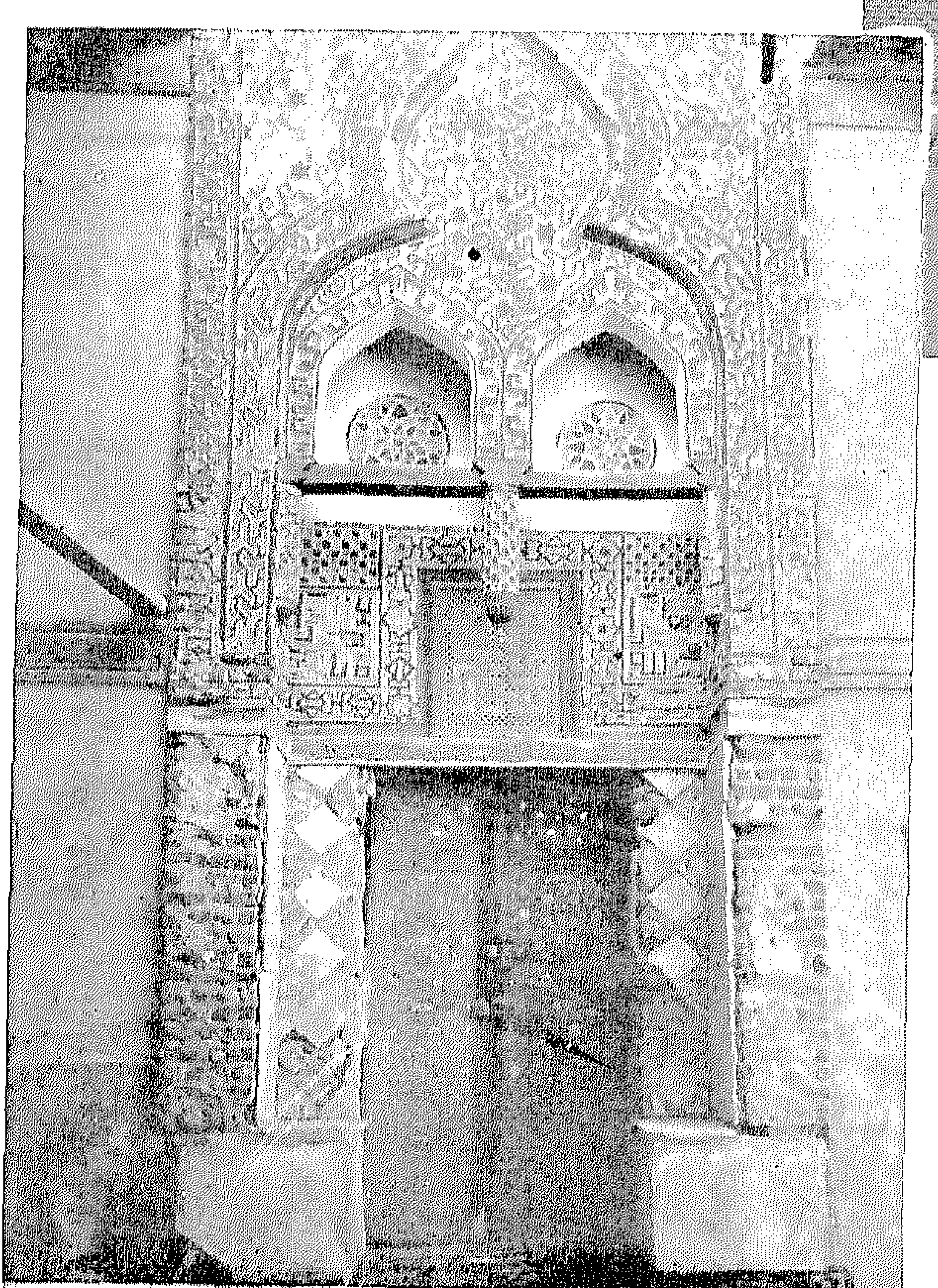
وجهة منزل أحمد باشا الضىّ برشيد



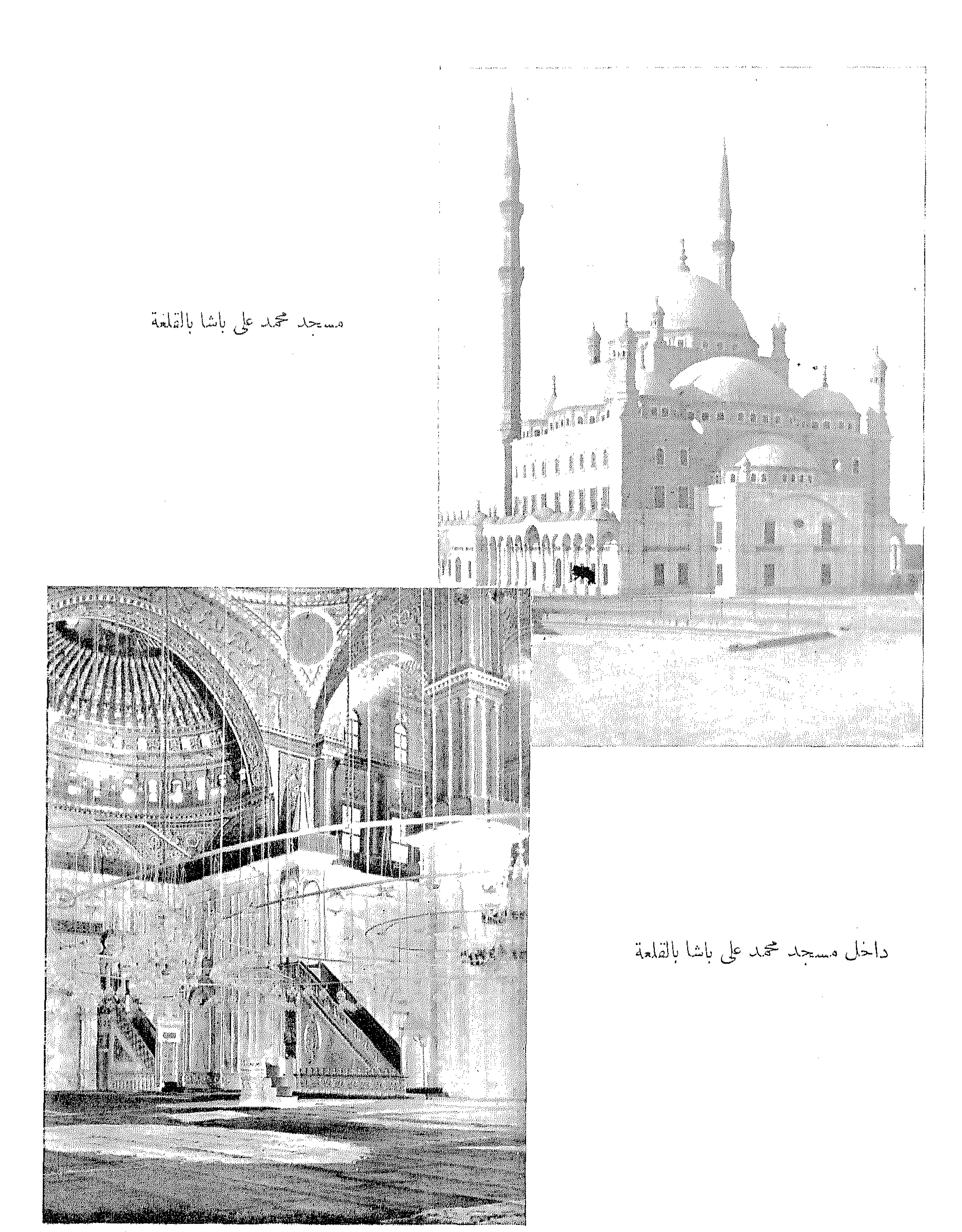
وجهة منزل الأمصيلي برشيد

منزل المناديلي برشيد





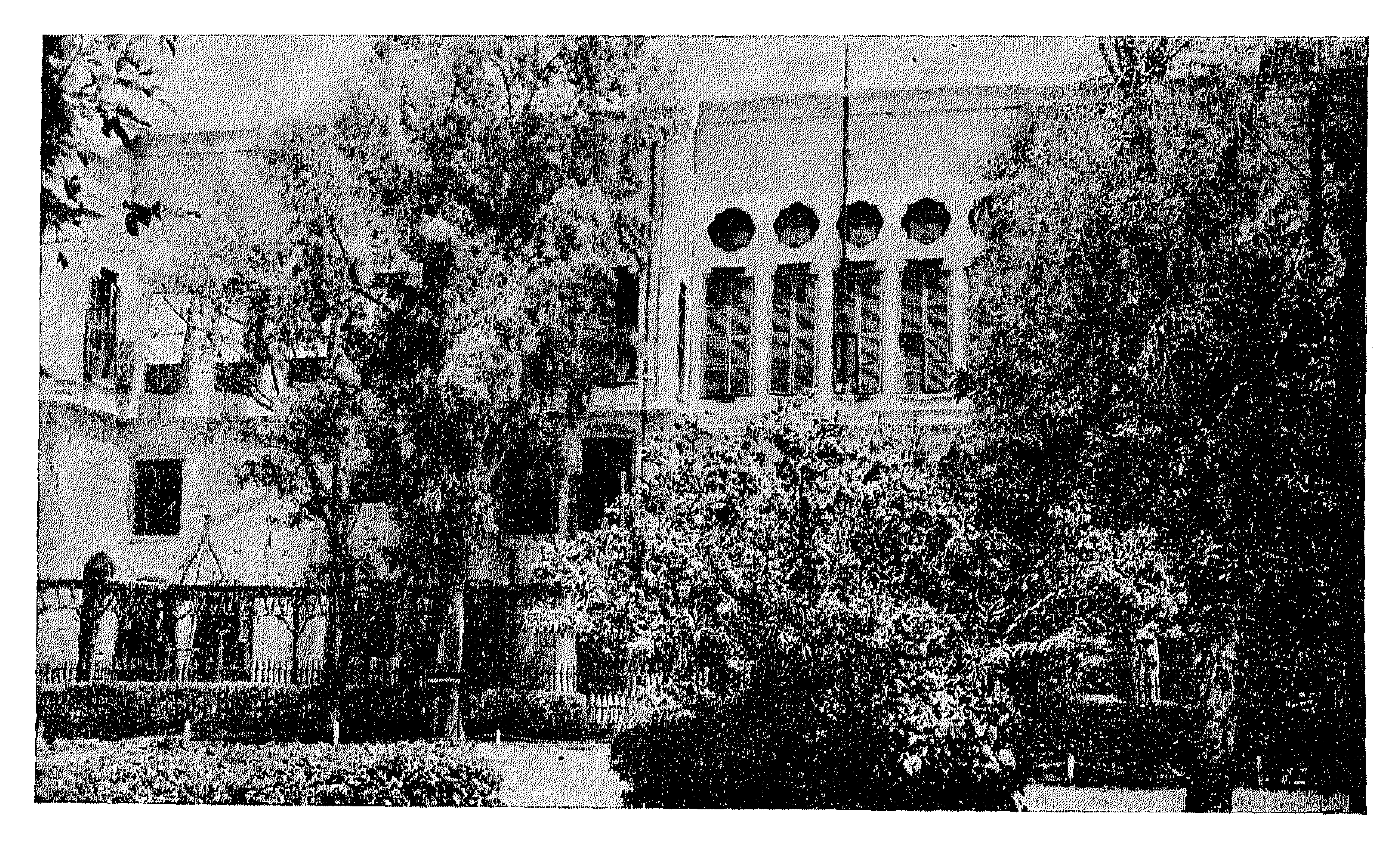
باب القبّة بالمسجد العبّاسي برشيد



مسجد محمد على باشا بالقلعة

داخل مسجد محمد على باشا بالقلعة

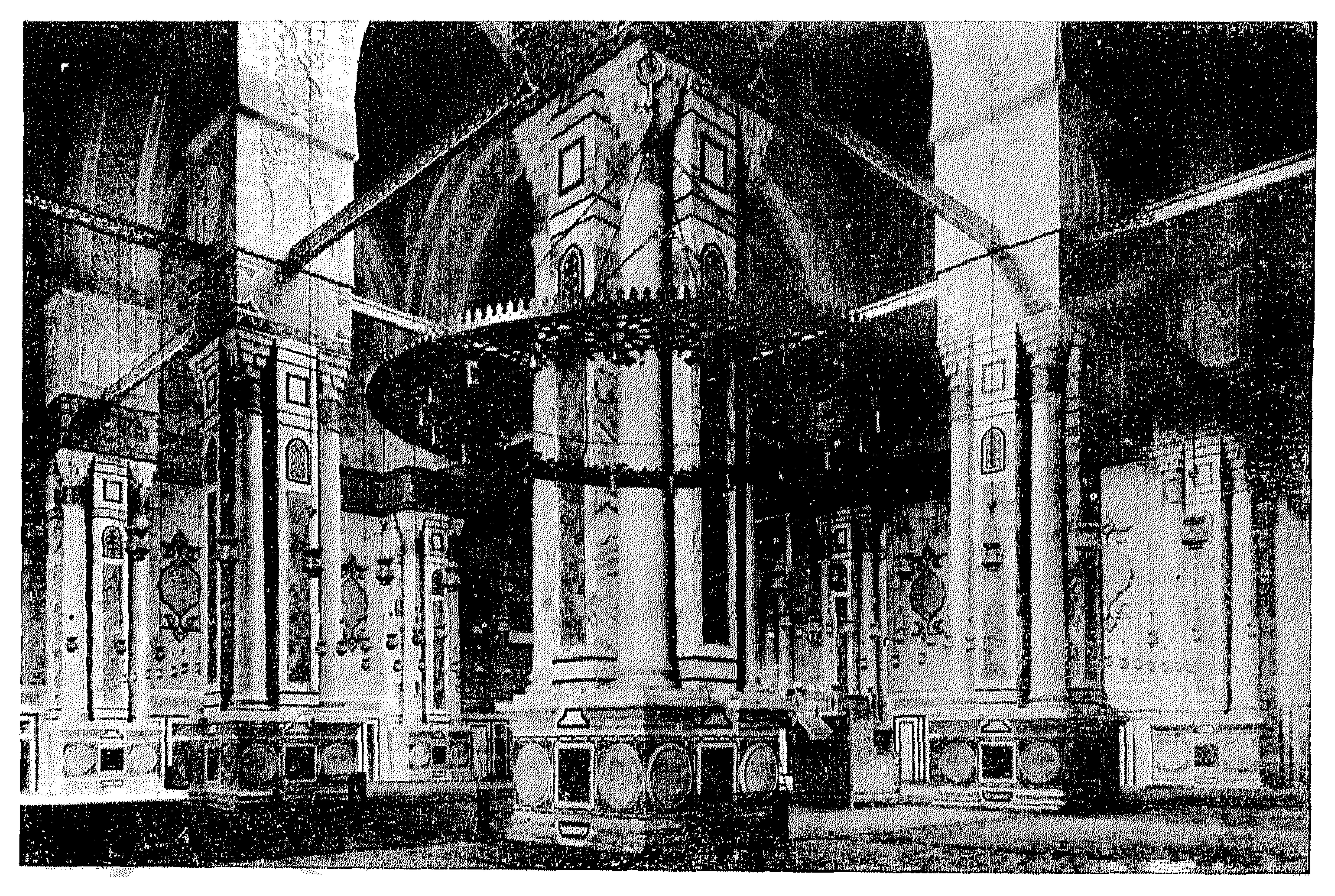
الفسقيّة بقصر محمد على باشا بشبرا



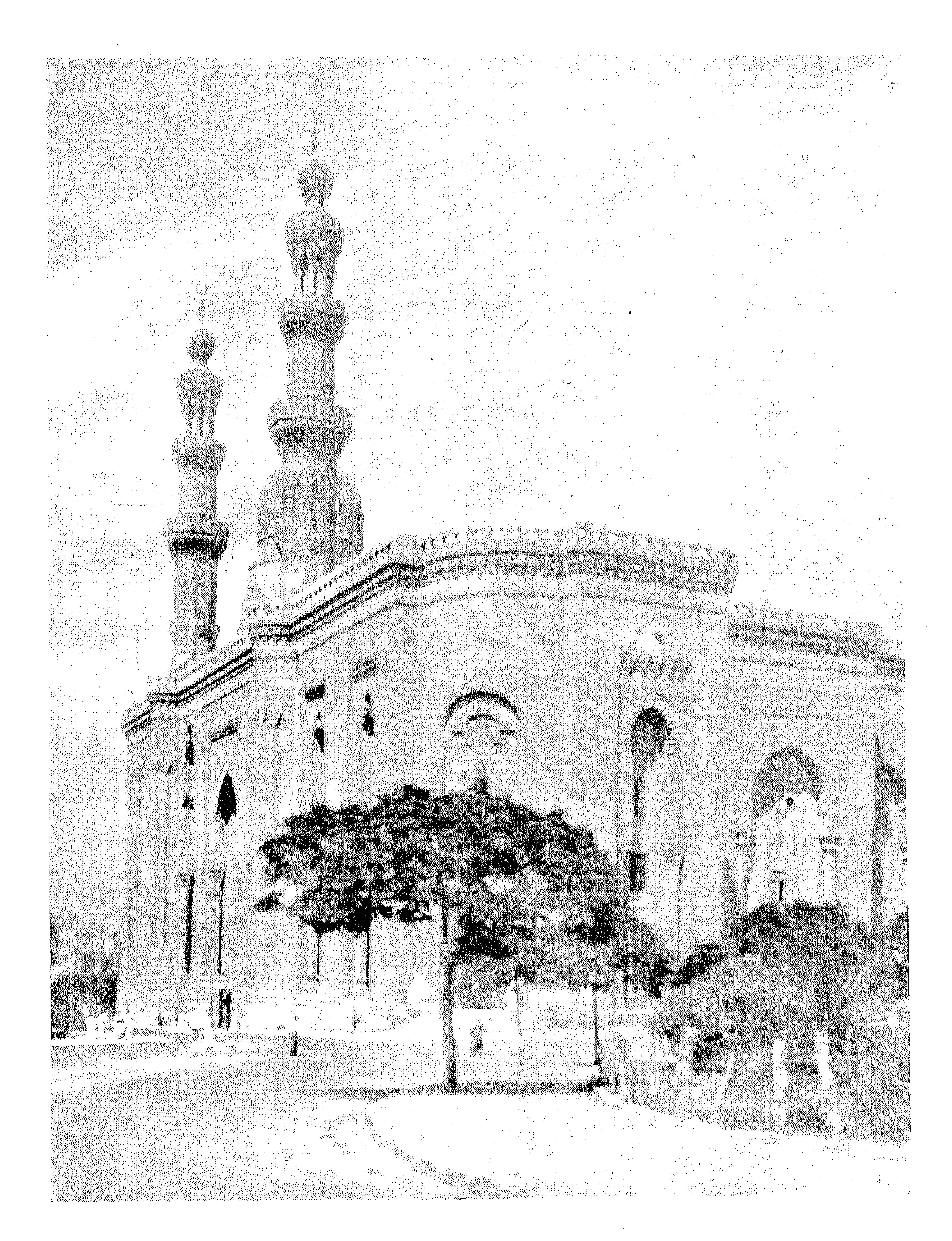
وجهة قصر الحرم بداخل القلعة



داخل كوشك محمد على (قصر الجوهرة)



داخل مسجد الرفاعى



وجهة مسجد الرفاعي

